Sawtalgeel
# صوت الجيل 15

العدد 15من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد سناجلة

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
علي شنينات
سوار الصبيحي
زينــة المعاني

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

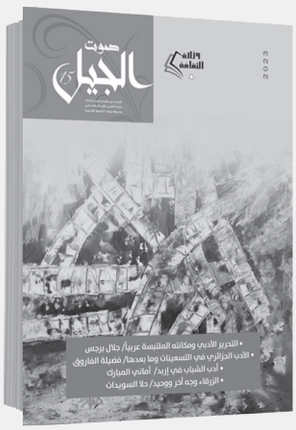



غلاف العدد
لوحة الغلاف للفنان: د. خالد الحمزة/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة
E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تعبر عن آراء
كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18-35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعريه على الشباب المبدعين فقط.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكتاب الأردنيين.

صوت الجيل
Sawtalgeel

# المحتويات


البوابة الرقمية

- عتبة ..... جـــلال بـرجـــس 4
- الألعاب الإلكترونية تصنع علاقات عابرة للقارات ..... محمد سناجلة 7
- أدبُ الشّبابِ في محافظة إربد .. عينٌ على الحاضرِ وأخرى على المستقبل ..... إعداد: أماني المبارك

مصفوفة العدد

- أدبُ الشّبابِ في محافظة إربد .. عينٌ على الحاضرِ وأخرى على المستقبل ..... إعداد: أماني المبارك 14
- إربـد .. الأقحوانة بين الماضي والحاضر .....أماني المبارك 15
- أدبُ الشّباب في إربد.. سعيٌ إلى أفق جديد ..... آسيا طعامنة 18
- إربد نافذةٌ على الآخر ..... جلال الدين سالم 21
- إربد في فكر ووجدان عاشقها الإربديّ ..... أحمد الشرايري 25
- كاتب على أطراف المدينة ..... محمد قاسم العودات 29
- إربد صوتُ الشّباب ..... حلا زهير عبيدات 32

ملتقى الأجيال

- لقاء بين جيلين .. الكاتبة الشابّة ندى وائل والروائيّ والمسرحيّ يحيى حباشنة ..... حوار: ندى وائل 37

وردٌ بلدي

- ضيوف الليل ..... أمجد مهنا 44
- مقامرة ..... ربى رسلان الريماوي 45
- ذكوات الاغتراب .. قال الشاعر يودّعُ صديقه الذي اغترب ..... محمد القادري 46
- رسائل تائهة ..... رنيم محاسنة 47
- كيف نميّزُ بينَ الأدب المدهش؟ ..... بيان أبو دية 48

العدد 15 من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

15

2023

# contents


- الجسور...عبور وشرود ........ أصالة لمع 50
- رَبْـعٌ ونَبْـعٌ ........ بلال السمارات 52
- عتمة الليل ........ ماجدة الطراونة 53

خرائط البوح

- الرّوحُ الحارسة ........ نهال عقيل 57

المختبر

- الجلوس إلى جمانة الطراونة وتداعيات الفوز بجائزة أثير ........ محمد الهادي الجزيري 64
- لغةُ السّردِ واللّونِ على وقع نبضات الحُبّ
في رواية قلوب من نار للروائيّة دلندا الحسن ........ سريعة سليم حديد 67
- جائحة الكتابة ........ عبير الديب 70
- واقع القراءة الشبابيّة في العالـَم العربيّ الإسلاميّ ........ هشام أزكيض 73
- رواية «زغرودة الفنجان» من سجون الاحتلال:
أساليب التلاعب النفسيّ لتجنيد العملاء ........ أماندا أبو نحلة 77

مراسيل

- إشراق ونهضة: الأدب الجزائريّ في التسعينيّات وما بعدها ..... فضيلة الفاروق 83

نقوش

- الزرقاء: وجهٌ آخر ووحيد ........ حلا السويدات 91

# عتبة

## على ضفافِ الجرأة
## التّحريرُ الأدبيُّ ومكانتُهُ المُلتبسةُ عربيًا

من أكثر اللحظاتِ إشكاليّةً في عالَم الكتابة الروائيّة، هي تلك اللحظة التي يُصوِّبُ الكاتب فيها فوّهةَ قلمه لرأس الصفحة، مدفوعًا بشغف كبير نحو استخراج ما في تلافيفه السّرّيّة إلى عوالم العلن، سواء استجوبَ نفسه من دون مواربة، أو اختبأ وراء أحداث، وشخصيات، وأزمنة، وأمكنة ليست له. وما كان لهذا البوح وما يحيط به من شغف أن يأتيَ لولا الصبرُ على مراحل انتظاره؛ ليكون بكلّ ذلك التدفّق، تمامًا كعطشان أنفق وقتًا يحاول تخليص فم النبع من حجر يلجم رغبة الماء بالانطلاق.

وحين يلتقط الكاتبُ تلك اللحظة، يصير أشبه بمظلوم محكوم بالإعدام، مُنِحَ دقائقَ معدودةً للدفاع عن نفسه، فيقول كلّ ما عنده دفعة واحدة، بشيء من الارتباك والعجلة، والسعي إلى القبض على العبارة التي لها أن تُنقِذَهُ من حبل المِشنقة، أعتقد أنَّ الكتّاب الذين يعيشون طويلًا في ذاكرة القرّاء هم هكذا، يسعَوْنَ إلى الخلاص من حبلِ المِشنقة.

لكن يا ترى ماذا لو مَنح القاضي الشخصَ المحكومَ بالإعدام يومًا ليستريح فيه قبل جَلسة الحكم؟ وأعطاه فرصةً لإعادة صياغة ما قاله؟ هل ستبقى بداية حديثه كما هي، أم يستبدل بها واحدةً أكثر إقناعًا؟ ما الذي سيستثنيه من سرديّته؟ وما الذي سيضيفه إليها؟ أيّ الكلمات سيراها مناسبةً أكثرَ من غيرها، ولها وقع أكثر تأثيرًا؟ وما هي الجمل، والعبارات، والكلمات التي يراها زائدةً لا نفع لها؟ أيّ الكلمات، أو العبارات التي يراها مكرّرة يمكن أن تُحدث الملل؟ هل يكون جريئًا في إعادة الاشتغال على مرافعته الشخصيّة عن نفسه؟ وهل ستكون تلك المرافعة بالمستوى ذاته الذي يمكن أن يعيد صياغتها محام مطّلعٌ على كافة تفاصيل القضية؟ يُعيد صياغتها بهدوء ورويّة، يتعاطف معها القاضي، وبالتالي تقنعه، فينال حُكمًا بالبَراءة.

أعتقد أنَّ هذا التشبيه والتقريب ينطبق نوعًا ما على الكتابة، وعلى التحرير الأدبيّ، وبما أنَّ الرواية جنس أدبي غير ثابت؛ فلا مناص من القول في هذا السياق إنَّ كلّ ما نفعله ونقوله حيالها هو أمر نسبيّ، غير قابل لاستخدامه لإطلاق الحكم النهائيّ عليها، رغم تداول بعض ما يراه المختصون ثوابتَ في ما يتعلّق بكتابتها، وبالتالي تحريرها أدبيًا.

ينكبُّ الروائيّ على نصّه بوعي التداعي المدفوع بشهوة البوح والخلاص، ثم حين يهدأ ويعود مشتغلًا عليه، يكتشف النواقص والزوائد، وما يمكن أن يطرأ على ما كتب. لكن هل هذا يكفي لإرخاء العِنان للرواية بأن تجد طريقها للقُرّاء؟ بطبيعة الحال لا يكفي ذلك.

نشأ الفنُّ الروائيُّ عربيًّا بمعزل عن الطرف المحايد، أي المُحرِّر الأدبيّ، إلّا من آراء لعدد قليل من أصدقاء الروائيّ، ولا تندرج في باب التحرير الأدبيّ، وقبل عشرين سنة تقريبًا ظهر دور المُحرّر الأدبيّ في الوطن العربيّ، وسار في دربه مُتخفّيًا؛ لئلا يعبث بقناعة الكاتب التي ترى في تدخّله انتقاصًا من قدرته الإبداعيّة، وشخصيته المهمومة بالفعل الكامل. ونتيجةً لصعود الفنّ الروائيّ عربيًّا، وتطوّر قطاع النشر، أخذ موقع المحرّر الأدبيّ في السنوات العشر الأخيرة يظهر في قالب مِهْنيّ مُعلَن، وباتت الهُوّة بينه وبين الروائيين تتجسّر شيئًا فشيئًا، لكنّه ما يزال على ضفاف الجرأة، الأمر الذي صار في حاجة إلى مؤسسات ثقافيّة تُذيب هذا الجبل الجليديّ الذي يقع بين الكاتب وبين من يستطيع أن يقرأ النصّ بوعي مختلف عن وعي كاتبه، وغالبًا ما يكون متقاطعًا مع وعي قُرّاء تُضجرهم البدايات المُرتبكة، والسرد الفائض عن الحاجة، والكلمات الزائدة والمُكرّرة، والتوصيفات غير المناسبة، والإطالة بعمر بعض المشاهد الروائيّة.

صرنا في حاجةٍ إلى أن يتخلّى الكاتب عن قناعته بالقدرة على إحداث الكمال، إذ يمكن للروائيّ أن يكون محرّرًا لنصوصه، لكنّه لن يستطيع التغلّب بالشكل المطلق على عاطفته نحو نصّه، وهذا بالطبع يجعل يده تتردّد ألف مرة وهي تُقدِمُ على الحذف، أو التشذيب، أو استبعاد ما يراه توصيفًا جميلًا.

لقد مارستُ التحريرَ الأدبيَّ على مستويين: الأول شخصيّ عملتُ من خلاله على رواياتي، إذ كنتُ أبتعدُ عن الرواية لزمن كفيل بنسيان ما كتبتُ، والخروج من مزاج الكتابة، وملحقاته العاطفيّة، والعقليّة، واللُّغويّة، والحِسّيّة، وحين أعود أجدني قارئًا يكتشف ما لم يكن بالحُسبان، قارئًا متعقلًا، لكن ليس بتلك النسبة التي يمكن أن تغنيني عن أن أدفع بما كتبتُ لعددٍ من الأصدقاء الذين أثق بآرائهم.

والمستوى الثاني هو ممارسة التحرير الأدبيّ لسنوات مع عدد من دور النشر العربيّة، كنت أجدُ متعةً كبيرةً في العمل على رواية ليست لي، متعةً لا تتقاطع بمتعة الروائيّ حينما يُعيد قراءة ما كتب، إذ تتملّكني – إن أُجيزت لي التسمية – عاطفة عقليّة، وشغف سرديّ في صقل النّصّ، وتخليصه ممّا يمكن أن يُعيق دربه نحو القارئ.

أقرأ ما بين يديَّ ثلاث مرات، في القراءة الرابعة، تتّضح الجوانب التي يمكن الاشتغال عليها أكثر من ذي قبل، وكأنَّ تكرار القراءة وتأمّل النصّ يُفضيان إلى تمييز ما هو في حاجة للتحرير بلون فاقع. حدث وأن حذفتُ عشرات الصفحات من بعض الروايات، وحدث أن طلبتُ من الروائيّ أن يُضيف صفحات في روايات أخرى، وحدث أن استبدلتُ بصفحةٍ كلمتين، واستبدلت بكلمةٍ صفحةً.

وبالرغم من إدراكي أنَّ التحرير الأدبيّ مجرّد مُقترَح، مثلما أنَّ الرواية من دون تحرير هي أيضًا مُقترَحٌ إنسانيٌّ، ومثل أيّ قراءة لأيّ رواية هي في المُحصّلة وجهة نظر القارئ، إلّا أنّنا بأمسّ الحاجة لإحداث قناعات جديدة حيال النصّ الروائيّ، وحاجته لقراءة محايدة تُضيف على ما نتج عن انتشار الفنّ الروائيّ مؤخّرًا ما يجعل النتاجات في هذا الشأن أقلّ ارتباكًا، وأكثر جمالًا ووعيًا.

**جلال برجس**
**رئيس التحرير**

البوابة
الرقمية

# الألعابُ الإلكترونيّةُ تصنعُ صداقاتٍ وعلاقاتٍ عابرةً للقارّات بين شباب العالم

محمد سناجلة

# الألعابُ الإلكترونيّةُ تصنعُ صداقاتٍ وعلاقاتٍ عابرةً للقارّات بين شباب العالم

محمد سناجلة

ابني لا يخرج كثيراً من المنزل ليلعبَ مع أصحابه في الشارع، وهو يقضي الكثير من الوقت يلعب الألعاب الإلكترونيّة على جوّاله أو شاشة حاسوبه في غرفته، وأخشى أنَّ ابني كائنٌ غيرُ اجتماعيّ، وغيرُ قادرٍ على التواصل مع مجتمعه القريب منه.

كثيراً ما نسمع مثل هذه الشكاوى من الآباء والأمهات حولنا، وربما نفعل نحن الشيء نفسه مع أبنائنا وبناتنا، ولكن هل هذا حقيقيّ؟

"هل تسبّب الألعاب الإلكترونيّة العزلة والوحدة، وعدم القدرة على التواصل والاتصال مع المجتمع والناس؟"

"أم أنَّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً؟"

قبل أن نتعمّق في الإجابة على هذا السؤال، علينا أن نعرفَ أنَّ ألعاب الفيديو والألعاب الإلكترونيّة غدت جزءاً حقيقيّاً وواقعيّاً، بل وأساسيّاً في حياة كثير من البشر في مختلف أرجاء العالم، فقد بلغ عدد الذين يمارسون هذه الألعاب (2.69) مليار لاعب في جميع أنحاء العالم في عام 2020، وسيرتفع هذا الرقم إلى (3.07) مليارات في عام 2023، بنسبة نمو سنويّ مركّب تبلغ (5.6%)، كما ذكرت منصة «فاينانس أونلاين» (FinancesOnline) مؤخّراً.

أمّا حجم سوق الألعاب الإلكترونيّة وألعاب الفيديو، فقد وصل إلى (203.12) مليارات دولار أميركيّ عام 2020، ومن المتوقع أن يبلغ حجم هذه السوق نحو (546) مليار دولار عام 2028، بمعدل نمو سنويّ مركّب نسبته (13.2%) خلال هذه الفترة، كما ذكرت منصة «فورتشين بيزنيس إنسايت» Fortune) Business Insights) في تقريرٍ لها مؤخّراً.

**تواصل دائم**

وعودة إلى السؤال السابق، فقد أصبح من الواضح خلال العقد الماضي، ومع نمو صناعة ألعاب الفيديو والألعاب الإلكترونيّة، بما يتجاوز ما توقّعه أيّ شخص على الإطلاق، أنَّ هذه الألعاب ليست مجرّد هواية مُمتعة للأشخاص المنعزلين، بل هي طريقة جديدة ومختلفة للتواصل البشريّ، أوجدها العصر الرقميّ والثورة الصناعيّة الرابعة، فهي تُبقيك على تواصل دائم، حيث تُحافظ الألعاب عبر الإنترنت على اتصال اللاعبين ببعضهم بعضاً بطريقة لم نكن نتوقّعها أبداً.

وعندما تُجرِّبُ ألعاباً جديدةً على جوالك أو على جهاز حاسوبك، فأنت تفتحُ نفسك ليس فقط لعالم ألعاب مختلف ومثير، ولكن لعالم جديد تماماً من الاتصالات البشريّة، لم يوجد مثله من قبلُ عبرَ التاريخ، وفق ما ذكرت منصة «أناليتكس إنسايت» (analyticsinsight) في تقرير لها مؤخّراً.

وقد اتّضحت أهميّة الألعاب في خلق آفاق اتصال جديدة بين البشر في جميع أنحاء العالم خلال الجائحة بشكل خاصّ، عندما مُنعنا لمدة عامين كاملين من استخدام طرق الاتصال المعتادة التي استخدمناها، وعندما أصبحت رؤية الناس وجهاً لوجه أمراً خطيراً للغاية، بحيث لا يمكن السماح به، وعندها أصبح الاتصال عبر التكنولوجيا هو الطريقة الجديدة للتواصل والعمل، لكنَّ اللاعبين كانوا يفعلون ذلك لفترة طويلة، ولعقود خلت من الزمن.

وقد اعتقد كثيرٌ من الآباء – كما أسلفنا – أنَّ الألعاب الإلكترونيّة ستجعل أطفالهم غير اجتماعيين، لكن العكس هو ما حدث، فبدلاً من قيام علاقات اتصال محدودة في الحّي أو المدينة، استطاع هؤلاء الأطفال إنشاء شبكة علاقات اجتماعيّة دوليّة عابرة للقارات، وهو شيء جديد لم يحدث من قبل، فمع تطوّر البشريّة تطوّرت أيضاً طرق التواصل الاجتماعيّ، وكلّ شيء نقوم به، كما ذكر التقرير السابق.

**عالَمٌ بلا تمييز ومن دون عُقد**

مهما كان عرقك أو جنسك أو لونك، وأينما كنت في هذا العالم، يمكن للألعاب أن تربطك بالآخرين، وعلى قدم المساواة، دون تمييز أو تفرقة، سوى مقدار براعتك في اللعب، وقد لا نكون جميعاً على المستوى نفسه من المهارة، لذلك قد يستغرق الأمر بعض الوقت للعثور على المجتمع المناسب الذي تتواصل معه، ولكنَّ الاتصال بالإنترنت في عالم الألعاب يخلُقُ توازناً رائعاً، والمهارة يمكن اكتسابها مع الزمن.

وفي اللعبة أيضاً، يمكنك أن تكون من تريد أن تكون، يمكنك إنشاء علامة اللاعب الخاصة بك، واختيار الأفاتار (صورتك الرمزيّة) الذي ترغب فيه، كما يمكنك أن تلعب بشخصك وصورتك الحقيقيّة كما يفعل الكثيرون في العالم، ويمكنك أيضاً أن تختار شخصيّة افتراضيّة تُعبّر عنك، وفي هذا العالم تختفي تعقيدات التواصل التي قد تكون موجودةً في العالم الحقيقيّ، حيث يمكنك التواصل بسهولة أكبر هنا ودون تعقيدات من أيّ نوع، حسب ما ذكر فريق «أناليتكس إنسايت» في تقريرهم آنف الذكر.

**صداقاتٌ وعلاقاتٌ عابرةٌ للقارّات**

إذا كنت تواجه مشكلةً في التواصل مع الأشخاص ذوي التفكير المماثل في الحياة الواقعيّة، فلن تواجه مشكلة على الإنترنت – كما يؤكّد التقرير – فعادةً ما يحدّد نوعَ الألعاب التي تلعبها المجتمعُ الذي تتصل به، وعلى سبيل المثال، ستقابل أشخاصاً يحبّون لعب الألعاب نفسها التي تمارسها، وهذا الاهتمام الأوليّ المشترك، قد يؤدّي إلى اكتشاف وجود اهتمامات أخرى مشتركة بينكم، وهنا تبدأ العلاقات بالتطوّر لتصبح أكثر حميميّة، ولتقود إلى صداقات متينة تربط بين اللاعبين، بغض النظر عن مكان وجودهم الفعليّ.

وفي الحقيقة، فإنَّ مجتمع الألعاب يقود إلى العديد من المجتمعات الأخرى، لذلك عندما تجد طريقك إليها، ستبدأ في اكتشاف أنَّ هناك الكثير من الأشخاص الذين يحبّون الأشياء نفسها التي تحبّها، وهناك دائماً المزيد من العلاقات التي يتعيّن إجراؤها، صدّق أو لا تصدّق، هناك العديد من قصص اللاعبين الذين اتصلوا عبر الإنترنت، ووجدوا الصداقة الحقيقيّة والفهم العميق المشترك.

**دعم اجتماعيّ**

هذا مفيدٌ بشكل خاص للشباب والمراهقين الذين قد لا يرغبون في الحديث عن المشاكل والقضايا التي تواجههم في الحياة مع معلميهم أو حتى مع آبائهم، حيث بيّنَ استطلاعٌ تابعَ مجموعةً مختارةً من الألعاب، أنَّ هناك زيادةً مقدارها (3.2) مرّات من المحادثات حول قضايا «الحياة الواقعيّة»، مقارنة بالمناقشات حول اللعبة نفسها، وهذا يعني أنّه – وفي

كثير من الأحيان – قد لا تغدو اللعبة نفسها هي الأهمّ، بل مناقشة قضايا الحياة ومشاكلها، وبالنسبة لأولئك الشباب غير الراغبين أو غير القادرين على الوصول للمساعدة في «الحياة الواقعيّة»، فإنَّ الألعاب تخلُقُ نظامَ دعمٍ هم في أمسّ الحاجة إليه.

**تعزيز القدرة على العمل الجماعيّ**

ويُشير التقرير إلى أنَّ هناك الكثير من الألعاب التي لا يمكن ممارستها إلّا بشكل جماعيّ، وعن طريق فرق متعدّدة، حيث يصبح الفرد جزءاً من فريق عمل له هدف واحد، هو الفوز في اللعبة، وهذا يعني التواصل الدائم بين أعضاء الفريق، وقضاء الكثير من الوقت معاً في وضع الخطط والإستراتيجيات، ويؤدّي القيام بهذه المهامّ في فريق عبر الإنترنت إلى تحسين مهارات العمل الجماعيّ في الحياة الواقعيّة، وتكون مهارات مثل هذه أفضل عندما يتمّ تعلّمها في سنّ مبكرة، لذلك يُعَدّ هذا جانباً ممتازاً للعديد من اللاعبين الذين يبدؤون اللعب في سنّ مبكرة، وهو ما سيزيد من مهاراتهم وقدراتهم في الحياة العمليّة في ما بعد.

وكلمة أخيرة، تُعَدّ الألعابُ أداةً رائعةً للاتصال، وطريقةً للهروب من ضغوط الحياة اليوميّة أو مللِها، وهي أيضاً وسيلة ممتازة لخلق شبكة من العلاقات الدوليّة واسعة النطاق، وهو ما سيكون مفيداً جدّاً في الحياة الواقعيّة والعمليّة، وبطرق قد لا نتخيّل مدى أهميتها لحياتنا ومستقبلنا ومستقبل أبنائنا في هذا العالم.

مصفوفة

العدد

# أدبُ الشّبابِ في محافظة إربد
# عينٌ على الحاضرِ وأخرى على المستقبل

**إعداد: أماني المبارك**


- أدبُ الشّبابِ في محافظة إربد .. عينٌ على الحاضرِ وأخرى على المستقبل ................ أماني المبارك
- إربـد .. الأقحوانة بين الماضي والحاضر ........................................................ أماني المبارك
- أدبُ الشّباب في إربد.. سعيٌ إلى أفق جديد ................................................ آسيا طعامنة
- إربد نافذةٌ على الآخر ........................................................................ جلال الدين سالم
- إربد في فكر ووجدان عاشقها الإربديّ .................................................. أحمد الشرايري
- كاتب على أطراف المدينة ..................................................................... محمد قاسم العودات
- إربد صوتُ الشّباب ........................................................................... حلا زهير عبيدات

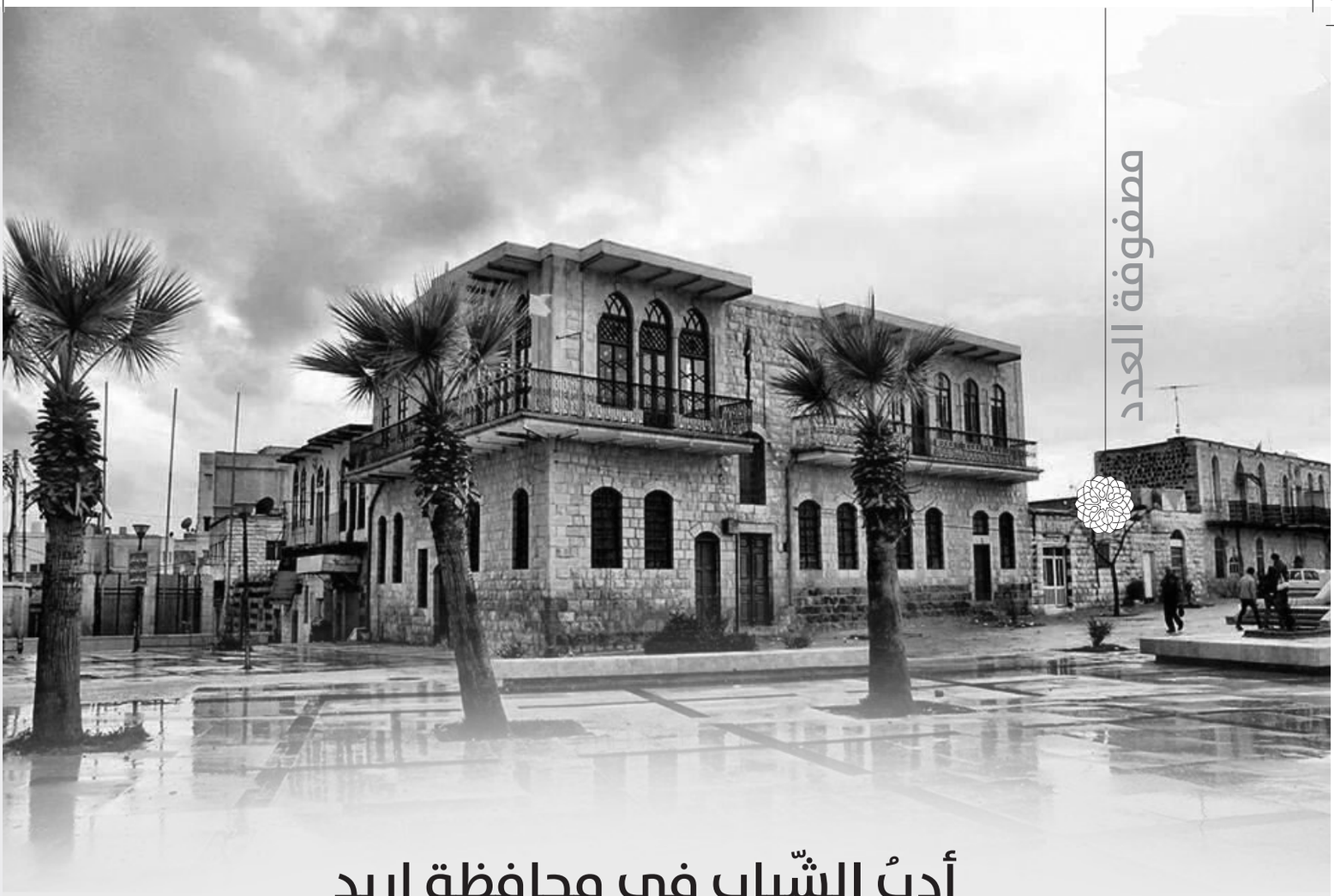

# أدبُ الشّبابِ في محافظة إربد
# عينٌ على الحاضرِ وأخرى على المستقبل

**إعداد: أماني المبارك**

لعب شمالُ الأردنِّ دوراً هامّاً على مسرح التاريخ؛ باعتباره ممرّاً تجاريّاً وعسكريّاً، ومحطّةً هامّةً في المشرق، فتأثّر بالأحداث التاريخيّة التي مرّت عليه قديماً وحديثاً، والشاهد على ذلك ما يرتسم أثراً جليّاً فوق أراضيه، كالتلّ الأثريّ الكائن منذ العصرينِ البرونزيّ المتأخّر والحديديّ، وما زالت أرض معركة اليرموك، ومعركة فحل، وأضرحة الصحابة الكرام، وأم قيس (جدارا)، والقويلبة (أبيلا)، وبيت راس (كابتوليـاس)، وطبقة فحل (بيلا)، شواهد تربض فوقها لتدلّ على مكانتها العريقة، ولا ننسى دار السرايا العثمانيّة، كلُّ هذا إضافة إلى اكتنازها الموارد الطبيعيّة، وما توالى عليها من حضارات وثقافات، جعل منها حاضنةً للإبداع والمبدعين، انعكست بيئتهم على نتاجهم الإبداعيّ.

من خلال هذه المصفوفة الخاصة بأدب الشباب في محافظة إربد، سنجتهد في تسليط الضوء على تجارب مجموعة من المبدعين الشباب، من خلال عدة محاور، كعلاقة ما يكتبه المبدع بتاريخ محافظته، وعلاقته بمن سبقوه من الروّاد، ومدى تأثّره بهم، وكيف أثّر المكان على تجربته، وهل كان لبعده عن المركز تأثيرٌ على مشروعه، كيف هي العلاقة ما بين المبدعين الشباب وبين المُكرّسين، وما الذي يريده هذا الجيل من الكُتّاب للارتقاء بنتاجاتهم الأدبيّة والفنّيّة، وكيف ساهمت ثورة الاتصالات في تصدير نتاجه الأدبيّ إلى الفضاء العربيّ.

# إربـد
# الأقحوانة بين الماضي والحاضر

*أماني المبارك

تُعَدُّ إربد موسوعةً تاريخيّةً، تتضمّن مخزوناً حضاريّاً متعدّداً، فقد أشارت الدلائل الأثريّة إلى أنَّها كانت مأهولةً بالسكان منذ الألف الخامس قبل الميلاد، هذه الأقحوانة كما سُمّيت في المصادر الإسلاميّة، قد عُرِفت عبر العصور الحضاريّة المتعاقبة موضعاً يملك الخصائص التي تؤمّن متطلبات الاستقرار والإقامة فيها، وقد ارتبطت سهول حوران بهذا، فقد كانت هذه السهول جزءاً من أهراء روما، التي اعتمدتها الإمبراطوريّة الرومانيّة للتزوّد بقمح حوران.

وتُعَدّ أربيلا إحدى مدن الديكابوليس العشر، فموقعها الإستراتيجيّ المتوسّط يُعَدّ حلقةَ وصلٍ بين شمال بلاد الشام وجنوبها، فقد كانت مركزاً للمواصلات في العصر العباسيّ، يربط بغداد بفلسطين، فمصر والشمال الأفريقي، كما كانت زراعة القمح سبباً في ظهور ما يُسمّى بقوافل المكاريّة، الذين تخصّصوا في نقل الحبوب من سهول إربد الخصبة إلى دمشق عبر طريق تراجان المُعبّدة والمارّة ببُصرى الشام، وكانت سبباً لاتّساع الاتصال بين إربد وجوارها، وبين دمشق، عبر التاريخ في العهدينِ المملوكيّ والعثمانيّ، واستمرّت إربد الخرزات ما بعد تأسيس الإمارة، مرتبطة بموروثنا الشعبيّ، حيث استقرّت العشائر التي استوطنتها، كلّ عشيرة بجوار بئرٍ نُسِبَ إليها.

كلّ هذا وما لديها من تاريخ، كان حتماً أن يؤثّر في ما أكتبه من نثرٍ أو شعرٍ أو قصةٍ، وتضمين الشواهد التاريخيّة، وأبطال المعارك، وانتصاراتهم فيها، كما أنَّ طبيعة المكان الذي ولدتُ ونشأتُ فيه، كان بمثابة عملية ترجمة غير مباشرة لكتاباتي، فاللوحات الطبيعيّة للحصاد، بيادر القمح، الفلّاحين ومناجلهم، أشجار الزيتون، بركة العرايس، الزعتر البرّيّ والقبّار، عيون الماء، الأودية، الدحنون، وزهرة الأقحوان الحاضرة في ذاكرتي منذ الطفولة، إطلالة طبريا، هضبة الجولان، وجبل الشيخ، جزء لا يتجزّأ من مكوّنات قريتي مَلْكا، التي امتزجت كتاباتي بها، وتلوَّنت بصورها، وبهذا كتبت:

**فلاّحة**

**بيدي حفنةُ قمح**

**وأرضي زيتون**

**كرامتي من يرموك**

**وصمودي**

**يضربُ جذره**

**بينَ الصّخر**

**لِينبتَ زعتر.**

**شمسٌ**

**تُلهمني الطّريق، تُقرضني من حنطتها**

**كسرة نور**

**ليصبحَ قلمي قنديلاً يُضيء فِكرتي**

**فتنضج الكِسرةُ ليكتملَ رغيف!**

إربد مدينةٌ احتضنت الشعراء والأدباء، كما أم قيس الأثريّة (جدارا) احتضنت بمسارحها الغربيّة والشماليّة الفلاسفة والأدباء، وتُحاور النقّاد والأدباء بين جنبات شارع الأعمدة، وسبيل الحوريات، وعلى مطلّها الغربيّ المُشرف على بحيرة طبريا وجبل الشيخ، نظم الشعراءُ أجمل قصائدهم، فالشاعر اليونانيّ ميلياغروس الجداريّ، المولود بالقرن الأول الميلاديّ، كان جامعاً للقصائد، إذ تروي كتب التاريخ أنّه تمكّن من جمع نحو (134) قصيدةً، شكّلت نواة الأنثولوجيا – المختارات الأدبيّة – اليونانيّة تحت مسمّى «الإكليل».

والشاعر الرومانيّ القديم أرابيوس المولود في القرن الرابع الميلاديّ، يتوجّه إلى زوّار مدينة أم قيس الأثريّة، ويطلب منهم الاستمتاع بالحياة، فيقول في أشعاره المنقوشة على شاهد قبره: «إليك أقول أيّها المارّ، كما أنتَ الآن كنتُ أنا، وكما أنا الآن ستكونُ أنتَ، تمتّع بالحياة فإنَّكَ فانٍ».

التّجربة الحقّ، والموهبة التي صُقلت وتطوّرت أدواتها الكتابيّة من رحم البيئة، وقسوة الظروف، والافتقار للمنصّات، والتي بدت واضحةً جليّةً في تجارب المبدعين، فكان لا بدّ للكاتب من أن يتأثّر بشكل أو بآخر بمن سبقوه من الرّوّاد، وهم في محافظتي كثر، وفي طليعتهم شاعر الحياة والإنسان والجمال مصطفى وهبي التّل(عرار)، الرمز الثقافيّ والأدبيّ والفكريّ في إربد، وبيته الواقع في تل إربد ما يزال شاهداً خالداً، ومقصداً – إلى الآن – لأهل الأدب والثقافة، تُقام فيه الكثير من المهرجانات والأمسيات والنشاطات الثقافيّة.

وبالرغم من وجود مسافة زمنيّة بيننا، لكن من خلال قراءتي لأعماله وسيرته، استطعتُ أن أكوّن صورةً واضحةَ الملامح عن هذا البدويّ الملثّم، الذي انعكست بيئته وهُويّته وتراثه على أعماله الأدبيّة، وبما أنّنا نتقاطع بذات البيئة، حتى وإن تأثّرت الآن بالتطوّر في جميع المجالات الحياتيّة، إلّا أنّني تأثّرتُ بمعجمه، والصور الخاصة بالتراث الشعبيّ في محافظة إربد.

ولا يفوتني طبعاً ذكر آخرين من الرّوّاد، كالشاعر محمود المطلق، والشاعر أحمد الشرع، ولا بدّ من الإتيان على جريدة الميثاق التي أسّسها الشاعر الإربديّ محمد صبحي أبو غنيمة، وعادل العظمة، وكانت ناطقةً باسم الحزب الاشتراكيّ الوطنيّ عام 1933م، وحزب الاستقلال لفترة معيّنة، وإلى توقّفها.

وفي ما يخصّ العلاقة التي تربطني بالمكرّسين، وما أريده منهم للارتقاء بنتاجي الأدبيّ، فهذا المحور ربما كان الأهمّ في مسيرتي؛ لأنّني أرى أنّني كنتُ أسيرةَ المنتصف، تسمّرتُ ما بين الرّفض والقبول في آنٍ واحد، بانتظار صدور صكّ الاعتراف بنتاجي الأدبيّ، أقول ذلك لأنَّ تجربتي كانت قاسيةً في بداية مسيرتي؛ لأنَّ العلاقة بيننا كانت أقرب للقطيعة والإقصاء، منها إلى الاحتواء، ممّا أدّى في ما بعد لخلق

الفجوة بيننا، وانعدام الحوار وتبادل الخبرة والأسلوب؛ وذلك يعود لاعتبارات الكاتب المكرّس بأنّه يعتلي كرسيّه العاجيّ، ويتطلع بدونيّةٍ لمن هم في أولى مراحلهم وتجاربهم الإبداعيّة، حتى ولو كان هذا الجيل الجديد يمتلك الموهبة الحقّ والإبداع والرؤى الجديدة؛ وذلك خوفاً من تفوّقهم وأخذ مكانتهم التي يحظى بها، وبالتالي ظهور جيل جديد يهدّد مسيرة المكرّس الأدبيّة.

من هنا بدأ يُمارس دور الإقصاء لأيّ مشاركات وأنشطة لهذه الفئة الجديدة، وحرمانهم من الانخراط في المشهد الثقافيّ، في الوقت الذي يُجاهد فيه هذا الجيل الجديد لأن يأخذ الفرصة الأولى، أو أن يُعطى له طوق النجاة، وسحبه من قاع التهميش، والسماح لهم بالمشاركة الجادّة والإضافة بما يمتلكونه من أفكار خلّاقة ومُبدعة.

فالجيل الجديد في حاجة لأن يكون على مسافة قريبة من المكرّسين والنقّاد والمثقّفين المختصّين، حتى لا تضطرّه الحالُ في ما بعد إلى استنكار ما يقومون به من مشاريع أدبيّة في ظلّ الإشكاليّات المطروحة على السّاحة الثّقافية، بظهور هذا الجيل الجديد، وتعرّضه للإحباط، فلا أظنّ أنّنا سنختلف في أنَّ تطّور الإبداع والكتابة يتوقّف على العمليّة النقديّة، من خلال توجيه الكاتب بأهميّة القراءة النقديّة، والحرص على امتلاكه أدوات الكتابة الإبداعيّة، ووقوفه على مواطن القوة والضعف في كتاباته، المكرّس الحقّ يقع على عاتقه متابعة هذا الجيل، وتقويم مسيرة الكاتب، ومرافقته باستمرار؛ لتوجيهه إلى ما هو أسلم وأصوب، وإنارة السبيل له ليبدع ويكتب عن بصيرة، متفادياً الهفوات التي اعتاد الوقوع فيها.

وفي الحديث عن مدينة إربد التي تُوِّجت عاصمةً للثقافة العربيّة عام ألفين واثنين وعشرين، كما تُوِّج لواء بني كنانة التابع لها لواءً للثقافة الأردنيّة تتابعاً لعام ألفين وثلاثةٍ وعشرين، فهي تزخر بالنشاطات الثقافيّة المختلفة، لكنَّ هذه النشاطات لن تخدمه ومشروعه الأدبيّ كما تخدمه العاصمة التي تتواجد فيها معظم الدوائر والمؤسّسات، والمراكز والوزارات التي تصبّ في خدمة الكُتّاب.

فمن المُعوِّقات التي تواجه الجيل الجديد في محافظة إربد، بُعدها عن المركز – العاصمة – وهذا له الأثر الكبير في تقييد وشلّ حركتهم الأدبيّة، فالكاتب الإربديّ، ومعظم كتّابها من الجيل الجديد، يعيشون ضمن مستويات معيشيّة متواضعة، وأغلبهم من طلاب الجامعات، يعتمدون على عائلاتهم من الناحية المادّيّة، ولا يستطيعون تحمّل أعباء المواصلات، حتى وإن توفّر ذلك، فإنَّ معظم النشاطات تُقام مساءً، فيضطرّ الكتّاب إلى التغاضي عن حضور الفعاليّات الثقافيّة، وبالتالي انحسارها ضمن محافظتهم وجمهورهم.

ويقاس على ذلك أيضاً صعوبة مسارات النشر؛ لأنَّ أغلبها تتمركز في العاصمة، وتكلفة النشر مرتفعة، وهذا لا يخدم نتاجاتهم الأدبيّة، بل يجعلها قابعةً في الظلّ، بعيدةً عن المتلقّي، كما أنَّ معارض الكِتاب تُقام أيضاً في العاصمة، فإصداري الأدبيّ الذي طُبِعَ في عام 2020، شارك وحيداً في المعرض، ولم تسعفني المسافةُ للتواجد فيه.

ولكن رغم وجود هذه المُعوِّقات، إلّا أنَّ ثورة الاتصالات استطاعت أن تخدمنا بشكل كبير، وتخطّي نتاجنا الحدود الأردنيّة إلى الفضاء العربيّ، فممّا لا شكّ فيه أنَّ للتكنولوجيا أثراً واضحاً على الأدب العربيّ بشكل عام، فقد تمخّض عنها جيل أدبيّ من الشباب الذين أُخِذَت على عاتقهم مهمة الأدب، وجعل وظيفته اليوميّة تُعبّر عن همومهم وتطلّعاتهم، وذلك من خلال نشر النصوص، وتعديلها، وحذفها، وتسجيلها، أو حتى الظهور عبر الكاميرا – وكأنَّه في أمسية أدبيّة يتابعها حضور كبير من مختلف أنحاء العالم – على التطبيقات المختلفة.

هذا جعل الكاتب والمتلقّي في نقطة تقارب واضحة، يستطيع من خلالها أن يُعبّر المتلقّي أو المتابع عن إعجابه، ووضع رأيه في خانة التعليقات، التسجيل الصوتي، أو حتى الردّ المباشر من خلال انضمامه للبثّ الذي يظهر فيه الكاتب بالتزامن مع وجود الإعلاميين، وأصحاب المواقع الإلكترونية، وأصحاب المجلات الذين يتهافتون على من أصبحت حولهم هالة الشهرة لنشر أعمالهم الأدبيّة، التي لا تحتاج الوقت والجهد الكبيرين، إضافة إلى خلق الحوار والنّقد المباشر عن النصّ المنشور، أو الأعمال الأدبيّة الصادرة له عبر وسائل الاتصال المختلفة، فالكِتابُ أصبح بيد المتلقّي بكبسة زر واحدة.

رسمة الفنان خليل الكوفحي/ الأردن

# أدبُ الشّباب في إربد.. سعيٌ إلى أفق جديد

**آسيا طعامنة**

كثيراً ما نسمع عمّا يسمّى بأدب الشباب، وبالرغم من أنّي لا أنحاز لهذه المسمّيات، ولا أتفق معها كأدب المرأة، وأدب الشباب، وغيرها، غير أنّي هنا بصدد الحديث عن هذا المسمّى؛ لكونه من المصطلحات الرائجة والمتداولة كثيراً في مجتمعاتنا العربيّة، فماذا نعني بأدب الشباب؟ وما هي المشكلات التي تواجه هذه الفئة؟ وما مدى تأثّرهم بمن سبقوهم؟ وإلى أيّ حدّ يجب أن يكون هذا التأثر؟ فهل يُقصد به مرحلة عمريّة معيّنة تحدّدها جهة ما، والتي غالباً ما تبدأ من سنّ خمسة عشر عاماً، وتمتدّ أحياناً لتصل سنّ الأربعين، أم قُصِدَ به الحداثة في الكتابة؟ وما يترتّب عليها من أسلوب الكاتب ولغته، وطرحه لمواضيع تحاكي واقعه المعاش، وطموحه وتطلّعاته.

في حين أطلق عليه بعضُ الدارسين اسم (التجربة الإبداعيّة غير المكتملة)؛ أي التي تحتاج إلى الدعم والتطوير، والكثير من التصويب من ناحية الأداء، بغضّ النظر عن المرحلة العمريّة التي يمرّ بها الكاتب، لهذا اقتُرِحَ بتسميتها مرحلة البدايات، وهي بداية تجربة الكاتب الإبداعيّة، بغضّ النظر عن عمره.

في الواقع إنَّ عملية الإبداع ليس لها ضوابط، ولا يمكن أن تندرج تحت مرحلة عمريّة معيّنة، فهناك كتابات تنطبق عليها مقاييس الفنّ الإبداعيّ لكُتّاب ظهر إبداعهم في مرحلة عمريّة مبكّرة، أمثال طرفة بن العبد، الذي ترك لنا مُعلّقته الداليّة كواحدة من أيقونات الشعر العربيّ، وهو ابن ستةٍ وعشرين ربيعاً، وغيره الكثير ممّن تركوا لنا إرثاً عظيماً من كتب الأدب والشعر؛ ليرحلوا في وضح النهار، منهم امرؤ القيس، وأبو القاسم الشابي، وبدر شاكر السيّاب، وإبراهيم طوقان، وجبران خليل جبران، ومؤسّس القصة القصيرة الحديثة الفرنسي جي دي موباسان، وشاعر روسيا ألكسندر بوشكين، ونيقولاي غوغول الذي قال عنه كتّاب القصة الروس: «كلّنا خرجنا من معطف غوغول»، الذي ترك لنا أجمل ما كتب في قصّتي (المعطف)، و(العربة)، ومسرحية (المفتش)، وأخيراً فرانز كافكا الذي ينسب إليه مصطلح الكافكاويّة، صاحب (المحاكمة)، و(المسخ)، و(القلعة).

وعلى النقيض من ذلك نجد كُتّاباً في مرحلة عمريّة متقدّمة، قد تأخّر نبوغهم، أمثال النابغة الذبياني، حيث كتب الشعر في سنّ متقدمة، والجاحظ صاحب كتاب البخلاء، الذي كتب أبرز وأشهر أعماله (البيان والتبيين)، و(الحيوان)، وهو يتقدّم بخطواته نحو التسعين، والروسي فيودور دستويفسكي الذي كتب أروع أعماله، وهو في الخامسة والأربعين، ثم تلاها (المقامر)، و(الأبله)، و(الإخوة كرامازوف)، ونجيب محفوظ الذي كتب أول أجزاء ثلاثيّته (بين قصرين) في سنّ الخامسة والأربعين، والتي أصبحت أشهر رواية في القرن العشرين، ثم تلاها رواية (أبناء حارتنا)، ووصل الذروة مع أعظم نصوصه (الحرافيش) التي كتبها في سنّ الستين.

من هنا نستطيع القول إنَّ الإبداع لا يرتبط بسنّ ولا يتوقّف عند حدّ، غير أنَّ الآراء غالباً ما تتضارب، وما يُثبته الواقع هو عين الحقيقة، ولو تتبّعنا المقولة الشهيرة للروائيّ والمفكّر الإيطاليّ ألبرتو إيكو في كتابه (آليّات الكتابة السرديّة)، الذي يقول: «على الشاعر أن يتوقّف عن كتابة الشعر بعد سنّ الثلاثين، وعلى الروائيّ ألّا يكتب رواية قبل سنّ الستين».

وقد لمَّح من خلال كتابه إلى الفروق بين كتابة الشعر والكتابة السرديّة، وحجّته أنَّ الأولى تُبنى على توهّج واضطرام الأحاسيس، والثانية تحتاج لاختمار المدارك ونضج التجربة واختزان المعارف.

ولو اتّفقنا على تسمية التجربة غير المكتملة، أو التجربة التي تحتاج إلى النضج، بأدب الشباب، فهناك سمات عامة تتّسم بها هذه المرحلة، ومنها الاتجاه عند بعض الكُتّاب إلى التركيز على الفكرة، بصرف النظر عن الاهتمام باللغة من إملاء ونحو وغيره، ولا أقصد هنا تنميق اللغة بشكل مبالغ فيه، أو استخدام لغة عالية الدقة، فاللغة وسيلة وليست غاية، وهي خادمة للنصّ وليست مخدومة.

وإن حدث وكانت اللغة سليمة ومتقنة، ربما يكون ذلك على حساب الهدف من النصّ، أو الرسالة التي يتضمّنها ذلك النصّ، وهذه نقيصة تُنبئ عن عدم نضوج تجربة الكاتب، ولا تخدم النصّ، ولا تجد سبيلاً لذائقة القارئ المُتيقّظ. يلجأ أصحاب التجربة الإبداعيّة غير المكتملة أحياناً إلى استخدام الرمز والتخفّي وراء طلاسم لا تخدم النصّ، ولا تجد قبولاً لدى جمهور القُرّاء.

بالإضافة إلى ما سلف، فإنَّ ما يُميّز هذه المرحلة أيضاً، لجوء بعض الكُتّاب إلى طرح مواضيع تجلب لهم الشهرة، وتُسرِّع في انتشارهم، كأن يحاولوا تجاوز التابو بفجاجة، والتنكّر للموروثات والعادات والتقاليد.

إنَّ عدم نضوج التجربة الإبداعيّة، يمثّل مرحلةً لا بدّ أن يمرّ بها كلّ كاتب، فأيّ تجربة إبداعيّة في بدايتها تكون في طور النضوج والاكتمال، ويتباين هذا النضوج تبعاً للمخزون المعرفيّ والتجارب الذاتيّة بين كاتبٍ وآخر، بالإضافة إلى ذلك، هناك الكثير من أصحاب التجربة الإبداعيّة غير المكتملة، أو ما يسمّى (بأدب الشباب)، يتأثّرون بكاتب معين تأثّراً كبيراً، بحيث تلجأ هذه الفئة إلى تقليده في كلّ كبيرة وصغيرة، كأسلوبه، وأفكاره، وطريقة طرحه للمواضيع.

إنَّ هذا البند يُدخل الكاتب تحت بند التبعيّة، بحيث يصبح أسيراً لأفكار وأسلوب ذلك الكاتب، فتكون النتيجة أن يفقد السيطرة على نفسه وعلى ما يكتب، والأسلم في هذه الحالة أن يحاول صاحب هذه التجربة الشبابيّة التنويع، سواء في القراءة، أو فيمن يقرأ لهم، ومن هنا نستطيع القول إنَّ الإبداع في حياة أيّ كاتب هو عبارة عن مرحلة ربما تأتي مبكّرة أو متأخرة، تبعاً لما يكتسبه الكاتب من مهارات، حيث لا بدّ من أن يمرّ بمراحل من المعرفة والاطّلاع والقراءة؛ لتنموَ قدراته وتتطوّر، حتى يتمكّن من كتابة نصّ إبداعيّ مميّز.

يحضرني هنا عرار شاعر الأردن وإربد على وجه الخصوص، شاعر الحرّيّة، حرّيّة العيش والكلمة، فيُعيدني لأيام المدرسة أطوف في عشيّاته سهول إربد وبيوت الشَّعَر، حيث مسقط الرأس، وحبّة القلب، والمرتع الخصب، أصعد جبالها، وأهبط وديانها، أتنقّل بين صيفها وشتائها، أحلّق بسمائها، فتشجيني بعذب إلهامها، فعلاقة الكاتب بالبيئة والمكان علاقة وطيدة منذ الأزل، وعلاقتي بإربد علاقة خاصة، كعلاقة النحلات بالزهر، والفلاح بالأرض والمطر، فأنا في حضن إربد شجرة مهما طالت وتفرّعت أغصانها، تظلّ تشدّها رائحة التراب، هي المنبع العذب لحروف حكاياتي المسطّرة على الورق، منحتني فضاءاتها الفرصة ليعلوَ صوتي على منصّاتها، وألتقي بشعرائها وأدبائها، وأنهل من معين من سبقني منهم، مثل تيسير سبول، وسميحة خريس، وسليمان الأزرعي وغيرهم، أولئك الذين تأثّروا فأثّروا، فالأصل هو التأثّر لا التقليد، فالتأثّر يكون في مسيرة مبدع، كفاحاته وانتصاراته، مقدرته على مواجهة الصعوبات التي تواجهه، تميّزه وتفرّده عن غيره؛ لتصبحَ أنت أيضاً مبدعاً ومؤثّراً فيمن يأتي بعدك.

وعلى الرغم من أنَّ إربد منبعٌ خصبٌ لكلّ ذي إبداع، إلّا أنَّ بُعدها عن العاصمة غالباً ما يوقع الكُتّاب الشباب في حرج التنقّل، خاصة في فصل البرد والمطر، ممّا يؤدّي للحدّ من نشاطاتهم الثقافيّة، والالتقاء بكُتّاب وكاتبات من العاصمة، وربما ينعكس ذلك على كتاباتهم، فالكُتّاب الشباب في حاجة إلى الدعم والمشاركة والتنويع، وأن يُظهروا أعمالهم في كلّ مناطق المملكة، حتى يتمكّنوا من تجاوز المحلّيّة إلى المنطقة العربيّة، ولا يمكن أن تتحقّق هذه الأمور طالما ظلّ الكاتب قابعاً في بيته.

ولاكتمال التجربة الإبداعيّة لا نغفل دور الكُتّاب المكرّسين نحو الأدباء الشباب، من حيث دعمهم وتوجيههم، وترسيخ ثقتهم بأنفسهم؛ لتمهيد الطريق لهم لصعود السُّلّم برويّة، والوصول إلى أقصى درجات الإبداع، فالعلاقة بين الطرفين يجب أن تقوم على الودّ والاحترام، لا على التعالي من طرف، والجحود من الطرف الآخر.

ومع تطوّر العصر بصورة هائلة، وظهور وسائل التواصل الاجتماعيّ، أصبح وصولُ هؤلاء الشباب إلى الكتّاب الكبار والتواصل معهم، والاسترشاد بآرائهم، أمراً في غاية السهولة، غير أنَّه – للأسف الشديد – كثيرٌ من هؤلاء الكُتّاب يصنعون لأنفسهم برجاً عاجيّاً، وتظلّ نظرتهم للأدباء الشباب في كثير من الأحيان نظرة دونيّة، وبدلاً من الأخذ بأيديهم وانتشالهم من مرحلة التخبّط التي يعيشونها، غالباً ما يكونون سبباً في إحباطهم، وطمس موهبتهم قبل أن ترى النور، وذلك بتجاهلهم والتعالي عليهم.

إنَّ وسائل التواصل الاجتماعيّ سلاح ذو حدّين، فمن خلالها يستطيع الكاتب صاحب التجربة الشبابيّة التعريف بنفسه، ونشر أعماله، وحصوله على آراء المتابعين مباشرةً من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنَّ شعور الكاتب بحاجته للدعم والتشجيع والشهرة السريعة، يدفعه إلى الانجرار وراء مجاملات مُفرطة؛ بحثاً عن نجوميّة افتراضيّة قد تودي بمسيرته الأدبيّة في غياب الناقد المتمرّس، فبمجرّد أن تلتمع فكرةٌ ما في رأسه، يسارع إلى نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ، دون أن تُتاح له فرصة الاختمار، وتكون النتيجةُ دعماً وتأييداً من غير ذوي الاختصاص، فيكون الأمر وبالاً على صاحب التجربة الشبابيّة.

على عكس الكُتّاب القدامى، فقد يبقى النصّ متاحاً أمامهم فترةً ليست بالقصيرة، حتى يتمكّنوا من طباعته ونشره، وفي هذه الأثناء تبقى لديهم فرصة تنقيحه وتشذيبه، وهذا ينتج عنه نصٌّ إبداعيٌّ مميّزٌ. ومن المؤسف حقّاً أنَّ أصحاب التجربة الشبابيّة لا يقبلون النقد البنّاء، ولا يسعون إليه، وهذا بدوره يؤدّي إلى تكديس الأعمال المتواضعة الركيكة، والذي بدوره ينعكس بشكل سلبيّ على الأدب والأدباء.

# إربد نافذةٌ على الآخر

**جلال الدين سالم**

إربد هناك في عروس الشمال، حيث تناثرت على كتفيها سهول القمح جديلةً من ذهبٍ، فمنذ كانت أربيلا وهي تجلس على رحاها، تُعِدُّ الجمالَ غذاءً لأرواح العابرين وأبنائها، كلُّ هذا لم يشغل النحلَ أن يستعيرَ قبساً من رحيقها؛ ليستحيل على كفّيها عسلاً تحلو به الأيام.

عبر التاريخ تمتعت مدينة إربد بأهميّةٍ كبيرةٍ كما هي سائرُ مدن بلاد الشام؛ وذلك لموقعها الذي تحتلّه، وما تمتاز به من استواء تضاريسها وخصوبة تربتها، وكثرة مواقع المياه فيها، ومكانتها جغرافيّاً، وأهميّتها تجاريّاً في العالم القديم، لذا فقد كانت تُمثِّل المعبر التجاريّ والعسكريّ الطبيعيّ بين الأردن وسوريا من جهة، وفلسطين من جهة أخرى، بمثابة حلقة الوصل ما بين جزئي بلاد الشام الشماليّ والجنوبيّ، فحافظت على أهميّتها منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصرين الرومانيّ فالإسلاميّ، وحتى عهد تأسيس الإمارة.

هذا الكَمّ من الثقافات والحضارات المختلفة التي مرّت بها إربد، جعلها رائدةً في شتّى المجالات، سياسيّاً وأدبيّاً وفنّيّاً، فكان لجيل الرّوّاد هذا، الذين لا ينكر دورَهم إلّا ظلومٌ أو غشومٌ، دورٌ هامٌّ في تجسيد ولادة حركة ثقافيّة مستنيرة، عزّزت الوعي باللحظة التاريخيّة، ومتطلّبات نشأة الدولة، والتي بدأت منذ ذاك الوقت، واستمرّت إلى يومنا هذا، أثراً وتأثيراً، فنهلنا من معين إبداعاتهم وريادتهم.

فنجد في الأدب الأستاذ كامل الملكاوي، الذي قدّم للساحة الأدبيّة في بواكيرها، وتحديداً في عام 1959، ما يمكن أن يُعَدّ من أوائل الروايات مكتملة العناصر، والدكتور شحادة الناطور كان أول من كتب للأطفال في إربد كتابة بطريقة منهجيّة، تُكمّل رسالته التربويّة، أمّا في مجال الشعر، فلا يفوتنا الحديث عن شاعر الأردن وإربد، الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار)، وهو ذو تجربة ثريّة تستحقّ الوقوف طويلاً أمامها، ولعلَّ واحدةً من أبرز هذه الأبعاد في تجربته، التي تلزمنا الوقوف عندها، هي ريادته الزمنيّة بقصيدة التفعيلة عام 1942، متقدّماً بذلك على السيّاب والملائكة بخمس سنوات، بالإضافة لعمله على ترجمة رباعيّات الخيّام.

وعلى ذكر الحداثة وتوجّهاتها في الأدب الأردنيّ، نستذكر الشاعر الأردنيّ إدوارد حداد، الذي أخذت قصائده طابعاً رمزيّاً، وتطرّقت لطرح الأسئلة الوجوديّة والفلسفيّة، فكان من رموز الحداثة في الأردن في فترة الستينيّات والسبعينيّات، والقالب الإنسانيّ في قصائده جعل توجّهاتها ربما ما بعد حداثيّة، ونجد الشاعر والكاتب محمد صبحي أبو غنيمة، الذي أنشأ مجلة الحمامة إبّان دراسته في برلين عام 1923م، أي في بدايات تأسيس الإمارة.

أمّا فنّيّاً فنجد من مواليد إربد الناقد السينمائيّ حسّان أبو غنيمة، الذي احترف النقد السينمائيّ لتجربة زادت على عشرين عاماً، حاول من خلالها تعزيز الثقافة السينمائيّة، والبحث في الوعي العربيّ السينمائيّ، ولا يفوتنا الحديث عن الفنّان والكاتب محمود عيسى موسى، الذي له عدة مؤلّفات في مجال النقد الفنّيّ، ومؤلفاته الروائيّة، بالإضافة لإقامته عدداً من المعارض الفنّيّة والتجارب المسرحيّة.

لطالما كان الأدبُ مصدراً تاريخيّاً هامّاً، فمن خلال التاريخ، يأخذ الكاتب من يومه لغده، ويستشرف المستقبل، وفي ذات الوقت يحتكم لماضيه، ويأخذ ليومه من أمسه، فالنّصّ ما هو إلّا حالة شعوريّة يتفاعل فيها الكاتب مع بُعدي الزمان والمكان، فيستنطق الأدب، ويُعبّر بذلك عن ذات موجودة أو مرجوّة، لذا فأرى أنَّ علاقة النصّ لديّ تاريخيّاً بمدينة إربد، هي علاقة وثيقة، فلكلٍّ منّا وشومه على جدران الذاكرة، يرثي بها ما ترامى من أسمالٍ على أرصفة العمرِ، وينقش فيها ما تناثر صوراً ووجوهاً وحكاياتٍ، فنرى تاريخ مدينة إربد يتسرّب للقصيدة لا واعياً، منذ أعمدتها الشامخة المتناثرة في أطراف جدارا، وحتى سهول حوران، وحقول القمح يغازلها المِنجلُ مردِّداً:

**«ياسين هبّ الهوا يا ياسين ياسين يا عذاب الدرّاسين»**

الأدب ما هو إلّا نتاج للتعبير عن الرؤية والحاجة، ولذا فالتأثّر والتأثير يلعبان دوراً هامّاً في تطوّر العمليّة الإبداعيّة التي تتكوّن عبر المدخلات الثقافيّة، التي تساهم في نشأة النسق الثقافيّ والمعرفيّ للكاتب، ممّا يُساهم في تحقيق عنصر الديمومة لها حين تترسّخ بجذورها في لاوعي القارئ، وترسخ العلاقة مع النصّ، فيصبح التأثّرُ والتأثيرُ صفةً تتجلّى في هذه العمليّة، شعراً كانت أم نثراً أم فنّاً.

ولكون الأسلاف هم جزء من هذه العمليّة، فكان لا بدّ لي من التأثّر بهم، فالكاتب أو الفنّان يتأثّر بمن سبقوه؛ ليتمكّن من التأثير فيمن يليه، فهو يستجدي وسائل أسلافه في تحويل المفاهيم الجماليّة والطبيعيّة لعملٍ إبداعيّ، ويعبّر عن مفاهيم مشتركة في وحدة النسيج الثقافيّ، فتمتزج بذاك رؤيا من سبقوه بالحاضر الذي يكتبه.

وجدتُ في شعر عرار في وصفه لمدينة إربد ملاذاً خصباً يروي أفئدة الشعراء؛ لكونه تغنّى بها في مأثور شعره، جنّةً امتازت ببساطتها، قوامها سهولها الخضراء الممتدّة، وعيون الماء والحقول والأشجار، وهذا ممّا أثّر فيَّ مثلاً في قصيدتي لإربد «كما الريح تأسرني»:

**ما مرّ طيفكِ خاطراً ﭬ القلبِ لا**

**إلّا استباح الوجد هتك سرائري**

**حوران يا شمسَ الضحى فيكِ الثرى**

**شــــذرات دُرٍّ رُصِّــعَـتْ بجـواهرِ**

**وسمعتُ عنكِ وإذ حمدَتْ مسامعي**

**ونظرتُ حتى طاب منّي ناظري**

**يــا إربـد الشـمّاء يا أرضاً ألوذُ بها**

**يــا نـورَ بـدرٍ ﭬ ظلامِ دياجري**

**حــيّ الحمــى وطـناً بإربدَ قد علا**

**وهـو السبوق بكـلّ حسنٍ ظاهرِ**

أمّا بخصوص العلاقة بالمكرّسين، فعلى الرّغم من أنّي قد أكون أقلَّ نفوراً عنهم من غيري؛ وذلك لأنَّ أول مكرّسٍ ارتبطت علاقتي به، وتتلمذتُ على يديه، أخي الشاعر محمد سالم العمري، الذي من خلاله جمعتني علاقة صداقة بمجموعة من الأصدقاء، كُنّا نجتمع ﭬ ملتقى شرفات الثقاﭬّ، الذي قد سقت خبره الغوادي، كالكاتب معاذ بني عامر، والقاصّ عمار الشقيري، ومحمد سالم العمري قال ﭬ يوم ما ﭬ إربد:

**«شــكراً لكــلّ شـجيرةٍ مشغولة بالحبِّ**

**لكلِّ وردةٍ على شبّاك أو ضفيرة**

**للفراشِ وهو ينقرُ أعتاب المدارس صبحا**

**والعـاديات خيولاً في الظهيرة**

**شــكراً لإربـــدَ مـنــذُ بـكـاء العاشـق**

**حـــتى ســـاعـتـه الأخــيرة»**

ولكن لا بدّ لي من الإشارة إلى أنَّ هناك حالةً من الصراع ما بين المكرّسين وجيل الشباب، تتشابه ﭬ طيّاتها بصراع التراث مع الحداثة، من حيث إقصاء المكرّسين للمواهب الشابّة، ورفض الشباب للمكرّسين دون الوعي بالعلاقة ما بينهما، وأنَّ كلا الفريقين امتدادٌ للآخر، فالمكرّسون يرَوْنَ أنفسهم على شيء، وأولئك على شيءٍ آخر، والشباب يرون أنَّ هؤلاء قد علاهم غبار الوقت، ونتاجهم ما عاد يتماشى والوقت المعاصر، لذا لا بدّ لكلا الطرفين من خلق حالة من التقارب ﭬ ما بينهما، وتقريب وجهات النظر؛ لضمان الارتقاء بالعمليّة الإبداعيّة واستمرارها.

قد كنّا أطفالاً، نشأت مكتسباتنا الثقافيّة من خلال المشهد البصريّ البسيط، فراشه الأرض ولحافه السماء، وما بين حقولِ الزيتون وسهولٍ ترامت من شقائق النعمان والأقحوان، يبتهل العشب، وبين شموخ أشجار السرو، آوت معتصمة بالجبال، فكانت شاهدةً على انبعاثات نسائم الفجر.

هذه الثقافة الصوريّة للشعر بمنزلة الوالدة من ولدها، والمحلّ الذي يتمثّل فيه وعي الأنا بذاتها، تماسكاً وتصدّعاً، ووعيها بمضمون النصّ تميّزاً وتداخلاً، ممّا جعل لحظه التفجّر الإبداعيّ تتشابه مع التجربة الصوفيّة، تُترجم هذا العالم المادّيّ صوراً تنعكس على النصّ بصورة واضحة، أقول ﭬ قصيدة «نافذة لريح الحواس»:

**حوريَّةٌ ولها الأفلاكُ قد شهِدَت**

**أهدَتْ إليها كمالَ البدرِ مُشتملا**

**فالحسنُ مدَّ يداً من نورِ وجنتِها**

**والكونُ لا يبتغي عن نورِها بدلا**

**وقد لقيتُ حِسانَ النّجمِ ساجدةً**

**ديرها لتُناجيَ الطّرفَ مُكتَحِلا**

**سودُ الضّفائرِ سرى ما بينَهُم قَمَرٌ**

**أنـارَ كـونـاً لنـا إن نجمُهُ أفلا**

وﭬ قصيدة «من وردةٍ للنّاي»:

**قفي فـوقَ الغيـومِ السـابحـاتِ**

**لأنّـكِ قـد ولـدتِ لنـا الهلالا**

**فحسنُك يُسعفُ الأبياتَ شعراً**

**يُـــردّدهـــا نـشـيـداً وابتهـــالا**

**وكيـفَ وحسنُها نجـمٌ مضـيءٌ**

**سـرى بالفـلـكِ قـنديـلاً تعالى**

**فخروبُ الجدائلِ غمارُ قمـحٍ**

**إذا أنحلَتْ هوى القلب انحلالا**

برأيـي لـم تعـد نظريّـة المركـز والأطـراف ذات قيمـة، أو أنّهـا تشـكّل عائقـاً أمـام العمليّـة الإبداعيّـة، فمـا آلـت إليـه الحيـاةُ اليـوم مـن مخرجـات الحداثـة بمفهومهـا الشـموليّ، لا بالنظـر القاصـر إليهـا، باعتبارهـا نصّـاً أدبيّـاً فقـط، قـد سـاهمت في مسـاعدة المُبـدع بشـكل عـام على تقاسـم رؤيتـه مـع الآخـر، مـن بعـد مـا كان الكاتـب سـابقاً يعانـي مـن أجـل نشـر نـصّ في جريـدة أو دوريّـة، فكيـف في كتـاب.

نجـد مواقـع التواصـل الاجتماعـيّ في شـقّها الإيجابـيّ، قـد سـاهمت في انتشـار النـصّ علـى مسـتوى الوطـن العربـيّ، ووصول الكاتـب لقُـرّاء جدد، وتخطّيـه حدوده المحليّـة، كاسـراً بذلـك قيـدي الزمـان والمكان، ولـم يعـد في الإمـكان تطبيـق نظرية الخنوع والاحتياج، كما يصفها ابن خلدون في مقدمته.

لكن لكون العالم اليوم – بشكلٍ عامّ والعربـيّ بشكل خاصّ – يشـهد أزمـةً معرفيّـةً وثقافيّـةً، فمنـذ بدايـات عصـر النهضـة العربيـة أواخـر القـرن التاسـع عشـر، جـرّب المثقّفـون العـرب الهبـوط بالنـصّ لمسـتوى القـارئ، والتخلّـي عـن مبـدأ الارتقـاء بالقـارئ لمسـتوى النـصّ، ممّـا سـاهم في تدنّـي مسـتوى الذائقـة العامـة، وانحـدار مسـتويات النتـاج الإبداعـيّ، ولعـلّ هـذا مـا يحتاجـه الكاتـب للارتقـاء بنتاجـه الأدبـيّ، والارتقـاء بالقـارئ، ولكـن لـن يتـمّ لـه حظّـه مـن ذلـك، إلّا مـن خـلال القـراءة والتشـجيع عليهـا، فهـي بمثابـة سـبيل لصقـل أدوات الكتابـة، فنحـن أحوج مـا نكون اليوم لتوثيق العلاقة بيننا وبين الكتاب.

ولعلَّ خيـرَ مـا أُنهـي بـه حديثي، مقطـع مـن قصيدتـي لإربـد «يـا سـهل حـوران»:

**يـا سـهلَ حـورانَ أنتَ هـزج قافيتي**

**يا مَن تُناجي بعـذب اللحنِ أغنيتي**

**كلُّ الـدروبِ إلى هـــواك تحمـــلني**

**ومضيتُ نحـوك من شـوقٍ ببوصلتي**

**شـــربتُ مـــاءَ لـــهُ الأرواحُ تبـتـهـجُ**

**من خيرِ أرضِك يـــروي زهـــرَ ذاكرتي**

**يـــا وارداً سلسبيلَ مـائـها العـذْب**

**يحلـو بـرونقها الزاهــي إذا جـرتِ**

**اشـربْ على الرّوضِ من عينها كأسا**

**كـــأنَّهـــا كـوكـبٌ في كـفِّ ساقيتي**

**رقَّ النسيـمُ عـلـى خـدٍّ يُـلاطـفُـه**

**ويسقـي سـماءكِ خـمـرَ خـابيتي**

**ثمّ استفاقَتْ سنابلُ قمحكِ الطَّربَ**

**تهدي الشّموسَ ضياءً يعلو ساريتي**

**يـا إربـد المجد ما لاحَ الهوى طربا**

**إلّا ورقَّ نسـيـمُ الـوصـلِ نـاحيتـي**

**يـا أقحـوانـاً على الأفـلاكِ ننثرُه**

**لـو نـاشـدَتْ عطـرَكِ الأزهـارُ لبّيتِ**

**خرجتُ عن مهجتي في حبّكِ ترفاً**

**كـأنَّ طـرفَـكِ لا يُحيـــي ولا يُمـتِ**

**عَذّبتِ بـالهـــوى قَـلبـي ولا عجباً**

**وطابَ موتي على أطلالِ قاتلتي**

**لـولا هـــواكِ لمـا بكيتُ من طللٍ**

**ولا ســجَــدَتْ لـغـيـرِ اللهِ نـاصيتـي**

رسمة الفنان خالد رباع/ الأردن

مصطفى وهبي التل (عرار)

# إربد في فكر ووجدان عاشقها الإربديّ

**أحمد الشرايري**

إربد الأقحوانة، حيث قلوبُنا بعشقها ملآنة، وهي عروسُ الشمال، مدينة الجمال، ومنبعُ الثوار، والفرسان الأحرار، ومدينة الأدباء والشعراء. تُعَدّ مدينة إربد من المدن الرومانيّة العشر القديمة (الديكابوليس)، وكانت تعرف آنذاك باسم (أرابيلا)، ونظراً لجمال هذه المدينة العتيقة، فقد ظلّت مكانتُها بين أهلها عريقة، سكنوا فيها فسكنَتْ في قلوبهم، وما تزالُ تحتضن في ثناياها بيوتاً تراثية قديمة، تروي تاريخ نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتشكّلُ فنّاً معمارياً في تلك الفترة، أثارَ من انبهاري وتعلّقي بها.

بدأت علاقتي تجاه توثيق تاريخ مسقط رأسي إربد، من خلال مطالعتي بعض الكتب المتعلقة بذلك، في مكتبة والدي، مثل كتاب (إربد المدينة) لمحمد علي الصويركي، وكتاب (مدينة إربد ماضياً وحاضراً) للبروفسيور يوسف غوانمه، كما أثّرت فيَّ قصائد شاعر الأردن الكبير عرار، في ترسيخ انتمائي الكبير لوطني الحبيب الأردن، وتحديداً تجاه إربد، حين قرأتُ له:

**قالوا تدمشق قولوا ما يزالُ**

**على علاته أردنيّ اللونِ حوراني**

وحين قال أيضاً:

**فأقمْ بإربدَ لا تغادِرْ ساحَها**

**إلّا على القبرِ الذي فيه تُقبرُ**

وغيرها من الأبيات النابعة من حسّه الوطنيّ الصادق، ودفاعه عن المظلومين، وعشقه للنَّوَر الذين وجد بينهم الحياة الفاضلة في المساواة بين بعضهم بعضاً، حيث قال:

**بينَ الخرابيشِ لا عبدٌ ولا أَمَةٌ**

**ولا أرقّــاء في أزيــاءِ أحــرارِ**

**الكــلّ زطّ مســاواةٍ محقّقــةٍ**

**تنفي الفوارقَ بينَ الجارِ والجارِ**

كلُّ ما سبق كان له الأثر الكبير في نفسي ووجداني، وحبّي النابت لإربد، إضافة إلى الندوات التي كنتُ أرافق والدي لحضورها، سواء كانت في بلدية إربد أو في بيت عرار، كالندوات التاريخيّة، أو الندوات الأدبيّة والشعريّة، التي كان يتغنّى بها الأدباء والشعراء في شتّى المناسبات الوطنيّة، وكلُّ ذلك كان خلال مرحلتي الإعداديّة فالجامعيّة.

وبعد تخرّجي من الجامعة، ومع بداية ظهور مواقع التواصل الاجتماعيّ، كاليوتيوب والفيس بوك، بدأت متابعتي لكلّ ما يتعلّق بإربد وتاريخها وتراثها تزداد شيئاً فشيئاً، وذلك من خلال ما كان يبثّه موقع اليوتيوب من تقارير تلفزيونيّة، وبرامج وثائقيّة وتراثيّة حول تراث مدينة إربد في شتّى ألويتها وقراها، كتلك البرامج التي كان يبثّها التلفزيون الأردنيّ، ومنها: برنامج «يوم جديد»، وما يتضمّنه من فقرات شيّقة منوّعة حول مأكولاتنا التراثيّة، وأفراحنا وعاداتنا وتقاليدنا، بالإضافة للفقرة الأجمل في البرنامج، ألا وهي «فارس الحلقة»، التي كانت تعطي انطباعاً للمشاهد حول الرجل الأردنيّ العصاميّ، والمرأة الأردنيّة المكافحة الصابرة، بِطَلّتها التراثيّة الجميلة (الشرش والشنبر).

ومع إنشاء أول حساب لي عبر الفيس بوك عام 2007م، بدأتُ فيه بكتابة خواطري الرومانسيّة والوطنيّة، وقد تضمّن الكثيرُ منها شيئاً من تجاربي الشخصيّة، وخصوصاً مع أول توقيع عقد عمل لي كمضيف طيران في شركة خاصة، الأمر الذي أعطاني حافزاً أكبر في تجربتي الكتابيّة، وبدأتُ حينها أقوم بإعدادها في فيديوهات، ونشرها عبر قناتي على موقع «يوتيوب» منذ عام 2008م، تحت عنوان (خواطر حمادة شرايري)، ونشرتُ الكثير منها في كتاب مستقلّ تحت عنوان (من رومانسيّات عاشق)، بالتعاون مع دار الجنان للنشر والتوزيع، فكانت خواطري منوّعة، حيث كان منها ما يتعلّق بمسقط رأسي إربد، التي كتبتُ فيها (خواطر إربديّة)، ونشرتها عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ.

بلا شكّ الأديب هو ابن بيئته، وللبيئة الأثر الأكبر في نفسيّة الأديب وإلهامه بما يكتب، كيف لا يكون لي ذلك الأثر؟! وأنا من عشقتُ سهولها في موسم الربيع، منذ أن كنتُ أرافق والدي في هذا الموسم الغنّاء الجميل، كما كنتُ أيضاً أرافق أصدقائي للاستمتاع في ربوع الوطن الجميل، وما تتزيّن به سهول إربد من ورود مختلفة الألوان، كما لو أنّها لوحة فنّيّة جميلة رسمها «بيكاسو»، أو «رينوار»، أو «رونيه».

كما كانَ للبيئة أيضاً ذاك الأثر المعنويّ الكبير في صقل شخصيتي، حين كنتُ أرافق والدي كذلك في عهد صغري إلى وسط إربد القديم، وكان يعشقُ المرورَ بين مبانيها التراثيّة الشاهدة على تاريخ نشأتها في بدايات القرن العشرين، وكان يُعرّفني بها كلّما مررنا بجانب كلّ مبنى منها، كان يقول لي: «هنا دار السرايا»، و«هنا بيت عرار»، وهنا «بيت علي خلقي الشرايري»، وهنا «بيت النابلسي»، وهنا «خان حدو وسوق

الصاغة القديم»، و«بيت أبو رجيع»، و«عمارة جمعة التي استأجرها عبد الرحمن حجازي وأنشأ فيها فندق الملك غازي».

كان كلّما ذكرها أمامي، كنتُ أسارعُ لأبحث عنها عبر مكتبة بلدية إربد، ومكتبة جامعة اليرموك، وعبر مختلف المواقع الإلكترونيّة؛ من أجل أن أتزوّد بما أحتاجه من معلومات، وقد بدأ اهتمامي بقراءة تاريخ أمير اللواء علي خلقي الشرايري، وشاعر الأردن الكبير عرار وابنه وصفي التل، والمجاهد الكبير – بطل معركة القدس – عبد الله التلّ منذ عام 2010م، فبدأت أقرأ عنهم عبر محرّك البحث «جوجل»، وأوثّقُ عن سيرهم ومواقفهم المشرّفة عبر «الفيس بوك» و«اليوتيوب»، بمختلف الصفحات والمجموعات التي لاقت استحساناً من كثير من المتابعين.

من هنا جاءتني فكرة تأسيس صفحتي المتخصّصة بكلّ ما يتعلّق بمدينة إربد، وقراها، وتراثها، وتاريخ رجالاتها، فقمتُ بإنشائها في الأول من تموز من عام 2015م، تحت عنوان (من تاريخ إربد وتاريخ رجالاتها الأحرار الأشاوس)، وقد سبقها بفترة بسيطة تأسيس صفحتي الأخرى (قناة الشرايري نيوز)، التي نشرتُ فيها فيديوهات تراثيّة وتعاليل إربد الجميلة في زمن البساطة الجميل، حيث لاقت هاتان الصفحتان متابعةً كبيرةً بين العديد من أهالي إربد، سواء ممّن هم في أرض الوطن أو خارجه، وبدأ العديد من أهالي إربد الكرام يرسلون لي وثائق أجدادهم القديمة، وكلّ ما لديهم من صور قديمة تتعلّق بأجدادهم.

أما بشأن بُعدي عن المركز عمان، وأثره في سهولة مساري للنشر من عدمه، وما يتعلّقُ بالفعاليّات الثقافيّة، وما يخدم نتاجي، فقد تواصلَتْ معي معلمة التاريخ في مدرسة الكليّة العلميّة الإسلاميّة/ ثانوية بنات الجبيهة؛ لكي ألقيَ محاضرة بمناسبة احتفالهم بذكرى مئويّة الثورة العربية الكبرى، وقد تضمّن الحديث في ندوتي أسباب الثورة العربيّة ونتائجها، ونشيدها، وعرض فيديو وثائقيّ قصير حول الثورة العربيّة، بالإضافة لعرض فيديو حول سيرة أحد فرسان الثورة العربية، أمير اللواء علي خلقي باشا الشرايري، وقد تمّ تكريمي بدرع في نهاية الندوة.

كانت هذه أول فعاليّة ثقافيّة أشارك فيها في العاصمة عمان، وقد سهّلت من مساري للنشر بخصوص ما يتعلّق بالثورة العربيّة وما تلاها من فائدة للطلاب بشأنها، حيث كنتُ أنشر محتوى ما أشارك به في الندوات التاريخيّة والفعاليات الثقافيّة عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ؛ ليستفيد منها طلاب العلم، حيث استفاد الكثير منهم بما أقوم بكتابته وتوثيقه، فالعلاقة بيني ككاتب من الجيل الجديد، وبين من كرّسوا من وقتهم للاهتمام بهذا التاريخ، وأقصد به تاريخ إربد ورجالاتها، قد كانت علاقةً متينةً، إذ تواصلت معي إدارة مدرسة علي خلقي الشرايري الثانوية للبنين؛ لكي ألقيَ محاضرةً عن تاريخه عام 2017م.

وقد حاضرتُ ببعض المعلومات المهمّة عنه، مع عرض فيديوهات عبر «الداتا شو» التي قمتُ بإعدادها مسبقاً حول مسارات حياته العسكريّة والتاريخيّة، وتمّ أيضاً تكريمي بدرع في نهاية هذه الندوة، كما أجرت معي صحافة اليرموك في ذلك العام حواراً صحفيّاً للحديث عن تاريخ علي خلقي الشرايري، وتمَّ نشر الحوار في الصحيفة بمقالة تحت عنوان (علي خلقي الشرايري.. الثائر الذي لم يَحِدْ عن خطّ العروبة والتحرّر).

كما تواصل معي كذلك العديد من طلاب الإعلام والتاريخ من جامعتي اليرموك وآل البيت؛ لأجل تزويدهم بكلّ ما يحتاجونه من معلومات حول تاريخ إربد ورجالاتها، كما تواصلت معي بضع طالبات من طلبة الماجستير في جامعة اليرموك، وكان تخصّصهن الجامعي (الأنثروبولوجيا/ القسم الاجتماعي)، وقمتُ بإعطائهن المعلومات الوافية بشأن ما يتعلّق ببحثهن، فقد كانت صفحتي الفيسبوكيّة (من تاريخ إربد وتاريخ رجالاتها الأحرار الأشاوس)، مرجعاً لهن بخصوص أبحاثهن، خصوصاً أنَّ صفحتي هذه قد احتوت على العديد من الوثائق الإربدية التي لم تُنشر في المراجع الرسميّة، والتي حصلتُ عليها من خلال تواصلي مع أهالي إربد الكرام.

كما أجرى معي دكتور التاريخ «الدكتور رؤوف شريفين» لقاءً صحفيّاً، مُسجَّلاً عام 2021م؛ للحديث عن مدرسة حسن كامل الصباح، بدءاً من نشأتها في العهد العثمانيّ عام 1900م، حين كان اسمها (المدرسة الرشدية) آنذاك، ثم مروراً بتاريخها في عهد الحكومات المحلّيّة، فأجرى علي خلقي تغييراً على اسمها إلى مدرسة (تجهيز إربد للذكور)، وأضاف إليها غرفتين من الجهة الشمالية كما ورد في مذكراته، إلى أن تغيَّرَ اسمها إلى اسمها الحالي في عهد إمارة شرق الأردن.

وبالإضافة إلى ما ذُكِرَ آنفاً، فقد جرى تعاون بيني وبين دائرة المكتبة الوطنية في عمان؛ من أجل تزويد مديريّة الوثائق والتوثيق بمجموعة من الصور والوثائق التاريخيّة؛ لإتاحتها للباحثين والدارسين، وبفضل الله قمتُ بتزويدهم بما يلزم.

إنَّ ما يريده الجيل الجديد من الكُتّاب للارتقاء بنتاجاتهم الأدبيّة والفنّيّة، هو الاعتماد على أسلوب السهل الممتنع في الكتابة، بعيداً عن التكلُّف في كتابة نتاجاتهم الأدبيّة، فعلى سبيل المثال حين أريد أن أكتب في التاريخ، يجب عليَّ أن أسال نفسي أولاً لمن أكتب؟ ولماذا أكتب؟ الإجابة على هذين السؤالين تكمن في أن أكتب للجيل الواعي المثقّف من الشباب، بأسلوب سلس واضح، وبما يخدم مواضيع أبحاثهم العصريّة.

لقد ساهمَتْ ثورةُ الاتصالات بشكل كبير في تخطّي نتاجي في التوثيق التاريخيّ الحدودَ الأردنيّةَ، ليس فقط إلى الفضاء العربيّ، بل إلى الفضاء الغربيّ عبر تواصل العديد من أبناء إربد ممّن يعيشون في شتى البلاد الغربيّة، وكان تواصلهم بشأن ما كنتُ أنشره حول تاريخ مدينتي، مُبدين إعجابهم بما أقوم بتوثيقه ونشره، حتى إنَّ قريباً لي يعيشُ في الولايات المتحدة الأمريكية، قد أخبرني بأنَّ العديد من منشورات صفحتي المتعلّقة بتاريخ إربد وتراثها، تمَّ تداولها عبر إحدى مجموعات «الواتس أب»، بين المغتربين الأردنيين القاطنين هناك، الأمر الذي أثلج صدري وأفرحني حين علمتُ بذلك؛ لأنّي لم أكن أتصوّر أن يتعدّى ما أقوم بتوثيقه حدودَ الأردن يوماً ما.

رسمة الفنان خليل الكوفحي/ الأردن

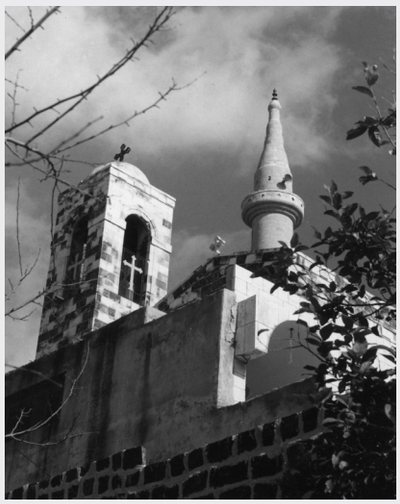

# كاتب على أطراف المدينة

**محمد قاسم العودات**

مهما تعدّد المدح، وتفنّن الكُتّاب والشعراء في روائع الغزل، لن يصلوا لسرٍّ يكمنُ فيه جمالها، فكيف تستحيل كلاماً وقصيدةً قد انتصف جمال ربوعك وشموخ جبالك، ويداً لأمي التي تخبز فجراً، وعن رائحة قهوة تفوح أرجاء الكون، عن سهو لنحفظك تضاريسَ وحجارةً وزيتوناً، نحبُّ هذه الأرض ونقدّسها، فيها وُلدنا، وإليها نعود.

بدأت رحلتي في الكتابة في محافظة إربد بالعديد من التحدّيات والفرص، إربد تتمتّع ببيئة ثقافيّة حافلة، حيث توجد مكتباتٌ ونوادٍ أدبيّةٌ، ومجموعاتٌ ثقافيّةٌ نشطةٌ، لقد تعلّمتُ الكثير من خلال المشاركة في هذه الأنشطة من ورشات تدريبيّة لتطوير الكتابة، أو دورات التصويب الأدبيّ، والاستفادة من خبرات الكُتّاب السابقين في المحافظة.

تأثّرتُ بشدّةٍ بالكتّاب الذين سبقوني في إربد، لقد قرأت أعمالهم، ودرست أساليبهم الكتابيّة والفنّيّة، وذلك أثّر بشكل كبير على تطوّري الشخصيّ وأسلوبي الكتابيّ، قدوتي من روّاد المحافظة تلهمني للتعبير عن هُويّتي الثقافيّة، والعمل على تسليط الضوء على قضايا المجتمع والتراث المحلّيّ في كتاباتي.

المكان الذي وُلدتُ فيه وعشتُ فيه له تأثيرٌ كبيرٌ على ما أكتب، إربد هي محافظةٌ ذات طبيعة خلّابة وتاريخ غنيّ، وهذا ينعكس في كتاباتي من خلال وصف المناظر الطبيعيّة الجميلة، واستكشاف التراث المحلّيّ في أعمالي، بيئتي تُلهمني وتُعطيني الفضاء الذي أحتاجه للتعبير الإبداعيّ.

بالرغم من أنّني بعيد عن المركز والعاصمة، إلّا أنَّ ذلك لم يكن عائقًا أمام تجربتي في مجال الكتابة، بفضل التكنولوجيا والوسائط الاجتماعيّة، استطعتُ تجاوز الحدود الجغرافيّة، والتواصل مع العديد من الناس والجمهور العربيّ، نشرُ أعمالي والمشاركةُ في الفعاليات الثقافيّة أصبح متاحًا بفضل هذه الوسائل، على الرغم من بُعدي عن المركز، استفدتُ من فرص النشر الإلكترونيّ والتواصل عبر الإنترنت، حيث يُمكنني الوصول إلى القُرّاء والمهتمّين بالثقافة والأدب في جميع أنحاء العالم العربيّ، لقد ساهمت ثورة الاتصالات في توسيع نطاق أعمالي، والوصول إلى جمهور أوسع، وهذا يُساهم في تطوير نتاجي الأدبيّ والفنّيّ.

وعن تجربتي بالكتابة، لا شكَّ في أنَّ ما أكتبه يرتبط بشكل وثيق بمدينتي الحبيبة إربد، بسهولها الجميلة وقراها ومثقّفيها، ينبغي لقلمي أن يتأثّر بجمال طبيعتها المتنوّعة، بسهولها، وجبالها، وهضابها، وتاريخها العريق في المجال الأدبيّ عبر العصور.

في الواقع إربد هي من تصف نفسها بنفسها، وأنا مجرّد مصوّر لتاريخ المدينة، لم تكن تجربتي في الكتابة سهلة أبدًا، ولكنّني كنتُ محظوظًا بمقابلة نخبة من الأدباء والمثقّفين المتألّقين في المجال الثقافيّ المحلّيّ والعربيّ، التقيتُ بهم في عدة مناسبات، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم التي ساعدت في تطوير قلمي وتحسين نصوصي، لم يبخلوا عليَّ بأيّ شيء يتعلّق بالأدب والكتابة، ممّا ساهم في تطوير مهاراتي.

ومع ذلك، تُقام معظم الفعاليات الثقافيّة في وسط العاصمة، ممّا يشكّل تحدّيًا كبيرًا بالنسبة لسكان المناطق النائية والقرى المحيطة بإربد، بالإضافة إلى ذلك، تُقام معظم هذه الفعاليات في المساء، ممّا يزيد من الصعوبة؛ بسبب قلة وسائل النقل المتاحة، هذا الوضع يؤثّر سلبًا على الترويج للمؤلّفين، ويعيق اندماجهم في المجتمع الثقافيّ والأنشطة الأدبيّة.

تُعَدّ العلاقة بين الكتّاب الشباب والأدباء المشهورين علاقة تشاركيّة فريدة، تشبه علاقة المعلم بالطالب، تُسهم هذه العلاقة في رفع المستوى الأدبيّ والثقافيّ للشباب، وتُساعدهم على تحقيق أهدافهم، من خلال توجيههم المستمرّ ومشاركة خبراتهم، إنَّ التوجيه المستمرّ من قبل الجهات المعنيّة، والتركيز الإعلاميّ المستمرّ، يُعدّان ضروريين بشكلٍ كبيرٍ.

من الواضح أنَّ الثورة التكنولوجيّة، وتقدّم وسائل الاتصال والتواصل، قد ساهمت في توسيع نطاق الأدب والثقافة، يمكن للكتّاب الشباب استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ، والبرامج الصوتيّة والنّصيّة؛ للوصول إلى جمهور أوسع، والتأثير على المستوى العربي، ومع ذلك، فإنَّ تعلّم استخدام هذه الوسائل بفعاليّة يتطلّب توجيهاً وتدريباً مناسباً.

علاوةً على ذلك، يجب أن يتمّ تعزيز جهود تصدير الكتب للخارج، وتقليل التكاليف المرتبطة بها، هذا سيُساهم في تعزيز الثقافة المحلّيّة والأدب العربيّ، ودعم الكُتّاب في نشر أعمالهم على المستوى العالميّ.

الخلاصة تحتاج الثقافة والأدب في مدينة إربد إلى دعم مستمرّ من الجهات المعنيّة والمثقّفين المحلّيّين، واهتمام أكبر بالكُتّاب الشباب، يجب توفير فرص للتوجيه والتدريب، وتسليط الضوء على إنجازاتهم وأعمالهم، إنَّ استخدام وسائل الاتصال الحديثة، وتعزيز جهود التصدير، سيُسهم في رفع المستوى الأدبيّ والثقافيّ للمنطقة، وتعزيز تأثيرها على الصعيدينِ المحلّيّ والعربيّ.

بالنسبة للعلاقة بيني ككاتب من الجيل الجديد والمكرّسين، أرى أنَّها تتمحور حول التواصل والتعاون، بالاستفادة من التجارب السابقة والمعرفة المكتسبة من الكتّاب الكبار، يُمكنني تطوير أسلوبي الكتابيّ والابتكار في تقديم الأفكار والمواضيع، في المقابل يُمكنني تقديم طاقة جديدة وأفكار مبتكرة تناسب الجيل الحاليّ، وتحاكي قضاياه واهتماماته، هذه العلاقة المتبادلة تُساعد على تطوير الأدب، وتحقيق التجديد والابتكار.

بالنسبة لما يريده الجيل الجديد من الكُتّاب للارتقاء بنتاجاتهم الأدبيّة والفنّيّة، فإنَّه يتطلّع إلى القصص والأعمال الفنّيّة التي تعكس تجاربهم وهمومهم، يرغبون في رؤية تنوّع الأصوات والمنظورات، وتعزيز التعاون والتفاعل بين الكُتّاب، يحتاجون أيضًا إلى دعم ومساندة المؤسسات الثقافيّة والأدبيّة، بما في ذلك توفير فرص النشر والترويج لأعمالهم، وتنظيم ورش العمل والفعاليّات الثقافيّة التي تساهم في تنمية قدراتهم، وتعزيز نموهم الإبداعيّ.

ويجب أن تكون هناك عناية شديدة بما ينشره الكتّاب الشباب من كتب مشتركة عديمة الفائدة، هدفها الرئيسيّ هو الكسب المادي فقط، عن طريق جمع فئة من الشباب وإقناعهم باستغلال مهاراتهم الكتابيّة للمشاركة في الكتابة معهم، دون أيّ دعم لتطوير مهارات الشابّ أو تصويب ما يكتب.

أرى أنَّ ثورة الاتصالات والتكنولوجيا قد ساهمت في تخطّي نتاجي الحدود الأردنيّة إلى الفضاء العربيّ، بفضل وسائل التواصل الاجتماعيّ والمنصات الإلكترونيّة، يمكنني الوصول إلى الجمهور العربيّ بسهولة، وتبادل أعمالي وأفكاري معهم، كما يُمكنني الاستفادة من مواقع النشر الإلكترونيّ، والمدونات، والمنصات الأدبيّة الرقميّة؛ للترويج لأعمالي، والتفاعل مع القُرّاء والكُتّاب والفنانين من مختلف أنحاء العالم العربيّ، بالإضافة إلى ذلك، يُمكنني المشاركة في المسابقات الأدبيّة والفنّيّة عبر الإنترنت، وتبادل الخبرات والمعرفة مع الأدباء والفنانين العرب.

بشكل عام، هذه الثورة في التواصل والتكنولوجيا فرصةٌ كبيرةٌ للكُتّاب والفنانين؛ لتوسيع نطاق تأثيرهم، وتبادل أعمالهم مع العالم العربيّ، وتواصلهم مع المهتمّين بالثقافة والأدب. إنَّ استخدام تكنولوجيا المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعيّ بشكل إيجابيّ، يمكن أن يساهم في نمو المجتمع الأدبيّ والثقافيّ وتطوّره.

في الختام، تجربتي في الكتابة قد أثّرت بشكل كبير على تطوّري الشخصيّ والإبداعيّ، من خلال قراءة أعمال الكُتّاب والفنانين السابقين في محافظتي، استفدتُ من خبراتهم، واستوحيت منهم الإلهام والمشاركة في المجتمع الأدبيّ والثقافيّ.

علاقتي بمحافظتي ومكان ولادتي تلعب دورًا مهمًا في ما أكتب، تُشكّل بيئتي وتاريخي الشخصيّ قاعدةً قويّةً تساهم في صقل هُويّتي الأدبيّة، وفهمي للمجتمع المحلّيّ وثقافته، ينعكس التراث والتاريخ المحلّيّ في أعمالي، وأحاول تسليط الضوء على قضايا المحافظة وتجارب سكّانها بشكل حسّاس ومؤثّر.

بالنسبة لبُعدي عن المركز وأثره على سهولة المسارات للنشر والفعاليات الثقافيّة، قد تكون هناك بعض التحديات، ومع ذلك، الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات تقدّم لي فرصًا رائعةً للتواصل والتفاعل مع الجمهور والمهتمّين بالثقافة والأدب من جميع أنحاء العالم. أستفيد من وسائل التواصل الاجتماعيّ والنشر الإلكترونيّ لنشر أعمالي، والتواصل مع القرّاء والكتّاب والفنّانين من خلالها.

في النهاية أتطلّع إلى المستقبل، وما سيحمله لي من تجارب جديدة في الكتابة والفنّ، أسعى دائمًا للتطوير والتعلّم، وأعتقد أنَّ التواصل مع الجيل الجديد والاستفادة من تجارب المكرّسين في مجال الكتابة، يُمثّل تحديثًا مستمرًا، وفرصةً للنمو والتطوّر الأدبيّ.

رسمة الفنان أحمد الخطيب/ الأردن

# إربد صوتُ الشّباب

**حلا زهير عبيدات**

بدأتُ مسيرتي في الكتابة في محافظةِ إربد، هذه المحافظةُ التي عُرِفت بتاريخها العريقِ الضاربِ في عمق الحضارة، حيث عُرِفت بسكانها المثقّفين، وبجامعاتِها المرموقةِ، وتراثِها الأصيل، وإذا ذهبنا في رحلةٍ عبر ماضي إربد وحاضرها، نجدُ أنَّها بقيت شاهدةً على كثيرٍ من الحضارات القديمة إلى عصرِنا الحاضر، ومن لا ماضي له، لا يمكن أن يكون لهُ حاضر، حيثُ نجحت إربد في تصدير وإثبات نفسها كعاصمةٍ مُتميّزةٍ للثقافة، أنجبت وما زالت تُنجب قاماتٍ ثقافيّةً وأدبيّةً.

وجودي في هذه المحافظة أضاف لي الكثير في مجالِ الأدب، حيث تُقام العديد من الأمسيات الثقافيّة، هناكَ تبادلنا – وما زِلنا نتبادلُ – الخبرات والتجارب من أهلِ العلمِ والاختصاص.

كانت بدايتي في كتابةِ الشعرِ قصيدتي «عروس الشمال»، وغيرها من القصائدِ والنصوصِ الأدبيّة، فكان لتاريخِ إربدَ الثقافيِّ دورٌ كبيرٌ في صقلِ ما أكتبُ وما أنشر، ولا ننسى أنَّ طبيعةَ إربد الجميلة وتضاريسَها تُلهم المبدع.

أمّا بالنسبة للأثرِ الذي لمستُهُ من روّادِ محافظة إربد، فكان أثراً معرفيّاً وتعليميّاً، من خلال القراءة في نتاجاتهم الأدبيَّة، وكنتُ دائماً أبحثُ عن السماتِ الأدبيَّة التي يمتازُ بها الكاتُب الأردنيّ في العموم، وعلى تعدّد الأسماء، كان لبعضهم حيّزٌ خاصٌّ، تضمَّن مفاهيم التأثّر والتأثير بالنسبةِ لي.

وأشير إلى نقطة مهمة في ما يخصّ البيئة المحيطة بالكاتب، إذ لا يمكن للإنسان أن ينسلخَ عن بيئتهِ، فهناكَ كبرَ وترعرعَ واستمدَّ القيمَ والثقافةَ والإلهام، وقبل أن أبدأ في كتابة النصوص الأدبيّة، كنتُ وما زلتُ هاويةً للشعرِ وإلقائه، وكان لبيئتي ولمن حولي دورٌ كبيرٌ في ذلك، أثَّرَ مباشرةً على تكوين شخصيتي الصّحفيّة والأدبيّة والثقافيّة، هذه الشخصيّةُ التي تحمّلت الصِّعابَ والكدّ والجُهد؛ لتظهرَ بصورةٍ حسنةٍ أمام العالم، ولتنخرطَ بقوةٍ في مجتمع الثقافةِ والأدب.

وبالنسبة لي الطموحُ لا يكفي، لقد كانت البيئةُ حولي وقودَ تقدّمي ونجاحي، ففي كلّ مرةٍ واجهتُ فيها عقبةً من العقبات، أجِدُ من حولي يُبدِّدون كلَّ مخاوفي وقلقي، ولا أنسى البيئةَ المِهْنيّة التي حظيتُ بها، كانت عاملاً نفسيّاً مهمّاً، شجّعني على الاستمرارِ وعدمِ التوقّف؛ كي أُكمِلَ بثقةٍ وعزيمةٍ.

وأرى أنَّ مكانَ الولادةِ له دورٌ كبيرٌ كمصدرٍ للإلهام في الكتابة، خاصةً أنّي وُلِدتُ في بني كنانة، هذا اللواءُ الأبيّ، الذي عُرِف بطبيعته القرويّة الفلاحيّة القديمة، وأصالته المشهودة. وكثيراً ما أبحثُ في ماضي العظماء، منهم أجدادي ومن عُرِفوا في بلدي الحبيب؛ لأقتبسَ منهم بعضَ المفردات التي كانت تتكرّر، وبعض الأقوالِ المأثورةِ لأبنيَ عليها نصّاً، أو أوظِّفها في نصوصي الأدبيّة؛ لكي نبقى على صلةٍ بين الماضي والحاضر.

ورغمَ البُعدِ عن مركز العاصمةِ عمان، أرى أنَّ هذا غيرُ مُرتبطٍ بمحدوديّةِ النشرِ لسكّانِ الأطرافِ بالقُرى والأريافِ؛ بحكم وجودِ مديرياتِ ثقافة تسهّلُ عمليّةَ النشر، ومع تطوّرِ التكنولوجيا ووسائلِ التواصل الاجتماعيّ، والمواقع الإلكترونيّة، والعصر الرقميّ، أصبحَتْ هناك سهولةٌ كبيرةٌ في نشر نتاجِ الكاتب والأديب، لذا لا بدّ لنا من قطع المسافات، والسعي والاجتهاد من أجل الوصول.

وعندما يتوجّهُ لي سؤالٌ عن العلاقةِ بيني ككاتبةٍ وبين المكرّسين، أرى أنّها جيّدة إلى حدٍّ ما؛ لكونها توفِّرُ الفائدةَ والمعلومةَ والتطّورَ والبناء، على اعتبار أنّي أنظرُ لأيَّةِ علاقةٍ كانت بتلقائيّتها التبادليَّة في إظهار العطاء بين الطرفين، فهم بيتُ الخبرةِ والمرجعيّةِ الأولى، ولا يمكن الاستغناءُ عنهم، ولا عن تجاربهم وخبرتهم، هذه العلاقةُ المبنيّةُ على الألفة والتواصل، تساهمُ في ارتقاء الأدب، والمُضي قدماً نحو ثقافةٍ لا محدودة.

وإذا نظرنا إلى الجيل الجديد من الكُتّاب والأدباء الصاعدين، نرى أنَّهم في حاجةٍ إلى التوجيهِ والتدريب، وصقل شخصياتهم من قبل الكتّاب البارعين والكبار، وتسليط الضوء على نصوصهم ومهاراتهم الإبداعيّة، ولو كانت محدودةً، وتقتصر على نصٍّ واحد أو مهارةٍ واحدةٍ، وهذا سيكون له دور بارز في وضعهم على الطريق الصحيح، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وثمّةَ أمرٌ مهمّ لا نستطيع تجاهلَه، وهو أنَّ بعض الكُتّاب الناشئين ربما يكون لديهم تطرّفٌ من الناحية الأدبيّة، فالمسؤولية على عاتق الكُتّاب الكبار مهمّة وكبيرة، من حيثُ توجيهُهم وتوضيحُ الصواب لهم.

وبما أنّنا نعيش في عصر التطوّر والسرعة، أرى أنَّ ثورةَ الاتصالات والتكنولوجيا قد ساهمت في تخطّي نتاجي الحدود الأردنيّة إلى الفضاء العربيّ، فوسائلُ التواصل الاجتماعيّ لم تترك الأبواب مغلقةً على العالم العربيّ، فقد أصبح بالإمكان الوصول والتواصل مع الجمهور المُشاهِد والمُستمِع

بسهولة، وتبادل الأفكار معهم، وساهمت إيجاباً في فهم وقبول الآخر، وتعزيز المعرفة بالثقافات المختلفة، وتنمية العلاقات الاجتماعيّة مع كُتّاب من دول مختلفة، وأصبح بالإمكان تلقّي النقد والتعليق على أعمالي من قبلهم، وهذا ما يجعل منها وسيلةً للتطوير والتحسين، بالإضافة إلى ذلك، يمكنني المشاركة في المسابقاتِ الأدبيّة التي تقام بشكل جماهيريّ لا وجاهيّ عبر هذه المنصات، ونيل الشهادات التقديريّة، والألقاب، والمكافئات الماليّة، نعم ثورة الاتصالات والتكنولوجيا هي من أحدثت ومهّدت طريقي لذلك.

تجربتي في الكتابة أضافت لي الكثير، لا سيما في صقل شخصيتي، وتنمية المهارات الإبداعيّة لديّ، أمّا عن رحلتي في الكتابة ومسيرتي الإعلاميّة، فهما كالمتحابّين، دائماً لا ينفصلان، أكتب نصّاً هنا وأُذيعه هناك، هكذا كانت مسيرتي لثلاثِ سنوات، أكتب وأُشكّل وأُرتّب النصوص، وأذهب مصطحبةً قلمي وأوراقي وحنجرتي الذهبيّة، وأهتف للعالم ما بجُعبتي من نصوص في شتّى القضايا والمناسبات، ولولا الكتابة ما كان للإذاعات والصحف روحٌ.

أنا ممتنةٌ لإربد وما قدّمته لي من ثقافةٍ وخبرةٍ، ولعلّ أولى الاهتمامات لديّ في مجال الكتابة، أن أُسلّط الضّوءَ على ما تحويه إربد من قيم اجتماعيّة وثقافيّة، وتراث أصيل، وتاريخ حافل يستحقّ أن يُذكر ويُكتب عنه بالخطّ العريض.

وأخيراً أقول: الكتابة هي متنفّس لي، عند الشعور بالفرح أكتب، وكذلك في الحزن، وعندما لا تُراودني الأفكار، وكأنَّ عقلي يتوقّف، أبدأ في الكتابة على ورقةٍ بيضاءَ، عن أيّ شيء، أيّ شيء حرفيّاً، بعدها تستنير في عقلي فكرةٌ، وأجد خيطاً للبدء والدخول في عالم الخيال.

لوحة الفنان عمر بصول/ الأردن

واثقةٌ أنَّ مستقبلي سيكونُ مشرِقاً في الكتابة والأدب؛ لأنَّ لدي ما يكفي من الدعم، على صعيد العائلة والأقارب، والأساتذة والأدباء الكبار، ممّن هم حولي، يُساندونني بكلّ سبل الدعم الممكنة في محافظتي الحبيبة.

عمل الفنان د. كرام النمري/ الأردن

الروائيّ والمسرحيّ يحيى حباشنة/ الأردن

ملتقى الأجيال

ندى وائل

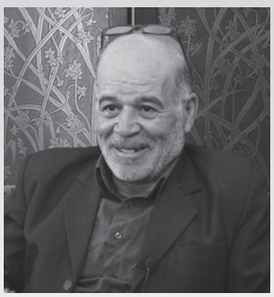

يحيى حباشنة

# لقاء بين جيلين
# الكاتبة الشابّة ندى وائل والروائيّ والمسرحيّ يحيى حباشنة

حوار: ندى وائل

# لقاء بين جيلين
# الكاتبة الشابّة ندى وائل والروائيّ والمسرحيّ يحيى حباشنة

حوار: ندى وائل

في هذا الحوار تلتقي الكاتبة الشابّة ندى وائل بالروائيّ والمسرحيّ يحيى حباشنة، إذ تذهب أسئلة هذا الحوار إلى أعماق تجربة الحباشنة من وجهة نظر كاتبة شابّة، تريدُ أن تقتربَ من الإبداع بوصفه خطوةً نحو فضاءات أرحب في هذا الكون، وجهة يمكنُ عبرَها فَهْمُ الذات الإنسانيّة، والحياة من خلال تجارب الكُتّاب المكرّسين، الذين عاصروا مراحل مهمّة على مختلف الأصعدة، وكان للمكان، وللزمان، وللمستويات الثقافيّة بكلّ تجلّياتها الماضية والحاضرة أثرٌ في إبداعهم.

• وُلد يحيى مطيع الحباشنة يوم 22/10/1960 في إربد، تلقّى تعليمه الإعدادي في مدرسة راكين في الكرك، شارك في العديد من الأعمال المسرحيّة، إخراجاً وتمثيلاً وإعداداً، منها: «الطّرْقُ يشتدُّ على الباب» (1987)، و«هات لك ليرة» (1988)، و«الفصل الثاني من تأليف مجنون» (1989)، و«تامر وسامر» (1989)، و«الوردة الحمراء المُرقّطة» (2006)، و«البئر» (2006)، و«زائر المدينة» (2008)، و«من ينتظر في الخارج» (2010).

كما كتب سيناريوهات لأعمال تلفزيونيّة، منها: «شموع ملوّنة»، و«محمد بن لعبون»، و«حارة أبو عواد»، والمسلسل البدوي «أفْرَق الثنايا». وهو عضو في رابطة الكتّاب الأردنيّين، وملتقى الكرك الثقافيّ، وملتقى هزاع الثقافيّ في الكرك، ونادي أطفال الكرك الثقافيّ، كما أنّه مؤسّس فرقة المسرح الصامت الأردنيّ، أمّا أعماله الأدبيّة، فله في الرواية «هاوية الجنون»، الصادرة عن دار الشروق، عمّان، 2006.

**في رحلة اطّلاعي على سيرة الروائيّ والمسرحيّ يحيى الحباشنة، أقرأ أنّك – بالإضافة إلى الرواية والمسرح – ممثّلٌ في العديد من الأعمال، أريد أن أعرف أكثر عن الأوجه الإبداعيّة المشتركة بين الفنّين، مرّةً تُجسّد النصَّ وأخرى تخلُقُه، كيف تُقيّم التجربتين؟**

كي نبدأ في الإجابة على هذا السؤال المهمّ جدّاً، عليَّ أن أشرح أمراً في غاية الأهميّة، وهو كيف يفكّر المبدع، وكيف يرى الأشياء؛ لأنَّ العمل الإبداعيّ يختلف كثيراً عن المفهوم الأكاديميّ المحض، فمثلاً أنا أرى أنَّ المسرح وباقي الفنون يشبه تقديم وجبة شهيّة حافلة بالأصناف، فمثلاً الشوربة توضع في إناء خاصّ، والمقبّلات في إناء آخر، والوسائل في تناوله، مثل مِلعقة خاصة لتناول الحساء، وهي أكبر حجماً من مِلعقة خاصة في تناول الحلويات، كذلك الشوكة والأطباق.

أما كيف أُجسّد النصّ، وكيف أخلقه، أقول: لأنَّ المحتوى عندي ينتمي للواقعيّة، فإنّني أرصد واقعاً أقوى من الخيال كما وصفه الأديب المبدع الأستاذ جلال برجس في معرض

حديثه عن روايتي (هاوية الجنون)، هذا الخيال الذي يعتمد عليه المبدع في كتاباته، وهذا أسلوبي في الكتابة، ففي بعض الحالات تكون بعض الشخصيات في المجتمع من الغرابة، ما يفوق خيال المبدع، لذلك تجدني في النصّ الأدبيّ معبّراً عن ذلك بوسائل فنّيّة مبتكرة في كلتا الحالتين؛ لتحقّق الهدف المرجوّ.

لذلك أقول إنَّ نظرتي للفنون الإبداعيّة جميعها لا تختلف كثيراً؛ لأنَّ (كروكي) العمل الفنّيّ للمحتوى يكون عادة في نفس القوة والحِرَفيّة، لذلك أصبح بمقدوري أن أقدّم لك الفكرة أيّ فكرة، على شكل مسرحيّ، أو سيناريو تلفزيونيّ، أو روائيّ، شريطة أن تكون ذات بعد معرفيّ بمحتوى إنسانيّ، توصلنا إلى هدف نبيل.

• بمعنى أنّني أستطيع أن أكون ممثّلاً لهذه الرواية، أو المسلسل، أو مُخرجاً له، طالما أنّني أمتلك أدواتي الفنّيّة بشكل جيّد، وأعرف كيف أصل إلى المتلقّي، وكيف أمهّد لإيصال ما يطلب منّي إيصاله بشكل محترف وإبداعيّ، وهذا يحتاج إلى خبرة واسعة وقدرات خاصة، دون الخضوع للسائد والمستهلك من الأعمال الفنّيّة الدراميّة، والأدبيّة والمسرحيّة، كمبدع أرغب دائماً في أن أختار ما يثير الدهشة والتميّز، حتى لو

لم يستسيغه المتلقي؛ لأنَّ واجبي هو أن أرتقي بذائقته الفنّيّة، وهذا الأمر يشبه أن ندعو أجنبيّاً لتناول المنسف على سبيل المثال، فهو ربما لا يستسيغه بدايةً، لكنّه سيعتاده ويحبّه عند التجربة الثانية والثالثة.

عندما كنتُ صغيراً، كنتُ مولعاً بقصص المغامرات، والقصص الإنسانيّة والعاطفيّة، أتلقّاها كما لو كانت رسائل هبطت عليَّ من السماء، وعندما كبرت كانت الروايات الأكثر شموليّة، مثل أعمال تولستوي، وغوركي، وارنست همنقواي، وميلان كونديرا، وويلسون، وفرويد، وهيقل، وغيرهم من صنّاع الفلسفة والأدب ذوي الحمولات الإنسانيّة.

هذه الأعمالُ شكّلت عندي وعياً خاصاً، أعدتُ بنفسي ترتيبه بطريقتي، ورسمَتْ لي فلسفتي الخاصة أيضاً في فهم الحياة، وكيفيّة نقلها عبر إنتاجي الأدبيّ والمسرحيّ، لذلك مارستُ التمثيل والأعمال الكتابيّة، والإخراجيّة، والمسرحيّة، وكانت بالنسبة لي – أي هذه التجربة – عبر سنوات عمري أكاديميّة خاصة، تمَّ استخلاصها عبر التجارب، عندما أجد نفسي مُتلقّياً تارةً، ثم منتجاً للفعل الفنّيّ تارةً أخرى، فكانت التجربة غنيّة، وأعتقد أنَّها قد نضجت مبكّراً، رغم أنّني لم أحقّق النجوميّة التي لم أسعَ إليها مطلقاً في حياتي.

**• بعد المسرح انتقلتَ إلى كتابة السيناريو، هل ضاقَ المسرح برسائلك أم كنت مدفوعاً بجنون العصر السريع فكتبت للتلفاز؟**

لا أبداً، كتابة السيناريو أمرٌ مختلفٌ تماماً عن باقي الفنون والأجناس الأدبيّة، فهو شيء يشارك فيه المُخرِج، والمُنتِج، والشخص المعنيّ بمراجعة النصّ، حتى إنَّ الأمور تصل من طريق إنتاج العمل المُخرِج والمنتج إلى تغيير الهدف وتبديل أدوات الكاتب على طريقتهم؛ لأنَّ الدراما تخضع لمتطلبات السوق وأهواء الجمهور، والشيء الذي يحتفظ به الكاتب هو أسلوب الكتابة والتشويق، وهكذا.

أمّا العمل المسرحيّ لديّ، فشيءٌ مختلفٌ، وأرفض التدخّل من المنتج أو المخرج إلّا في إطار التصويب على أخطاء وقعت سهواً، أو ما شابه ذلك؛ لأنَّ الكتابة للمسرح والنصّ المسرحيّ هي مسؤوليتي المباشرة ورؤيتي الخاصة عندما أقدّمها، حتى لو لم تجد اهتماماً لدى الجمهور البسيط الذي يرحّب بالمسرح الذي يقدّم التسلية، وأرفض النزول عند ثقافة المتلقّي، وواجبي هو الارتقاء بذائقته، والضحك المتواصل؛ لأنَّ النصوص المسرحيّة التي أكتبها تكون بمفاهيم فلسفيّة وفكريّة، ذات حمولات ورؤى، ولا أرتجي ربحاً ماديّاً، وهي كُتِبت لتُقرأ في الكثير من الأعمال، لذلك يتمّ تبسيطها عند العمل عليها من أجل العرض المسرحيّ على الخشبة.

**• أظنّني من الجيل الأخير الذي جلس في بيت العائلة الكبير يشاهد (حارة أبو عواد)، يسمع صدى الحارة الأردنيّة، حيث حاكى ما يجري خلف نافذته، كان مرآة المجتمع الصغير في البلد الكبير.**

إنَّ تجربتي في كتابة السيناريو كانت مع الأستاذ نبيل المشيني، حيث طلب منّي – عليه رحمة الله – أن أقوم بكتابة مسلسل أبو عواد بحُلّة جديدة، أراعي فيها غياب بعض الممثّلين الرئيسيين، مثل الفنان القدير موسى حجازين، ورشيدة الدجاني عليها رحمة الله، وحسن إبراهيم، وهؤلاء يشكّلون عصب الحارة، وتمّ التجديد في التعامل مع الحارة وقضاياها الاجتماعيّة، والظروف والمتغيّرات، مع الالتزام بالأسلوب، وبساطة توصيل الأفكار بحسب الخطّ المرسوم لفريق العمل، أو كما يريد المنتج (نبيل المشيني) وضمن توجيهاته.

وكتبتُ العمل مستفيداً من خبرته الفنّيّة الطويلة في الدراما، الأمر الذي دفعني للمشاركة في الأعمال الدراميّة كي أتعرّفَ أكثر على كواليس العمل الدراميّ وفنّيّاته، والأجهزة وكيفيّة عملها، وهذا سهّل عليّ مهمّتي، وقمت بها خير قيام، ولسوء

الحظ أنَّ هذا العمل لم يصوّر ولم يتمّ إنتاجه؛ لأنَّ التلفزيون طلب من نبيل أن يقدِّم دراما مختلفة عن حارة أبو عواد، رغم أنّه دفع لي حقوقي كاملة.

لذلك اتخذتُ كتابة الدراما وسيلةً تدرّ دخلاً يُعين على الحياة، وكنتُ أقوم بها بحسب رغبة واختيار المنتج، ولم أجد ضيراً في ذلك؛ لأنَّ الهدف في كلّ الحالات يكون ذا قيمة أخلاقيّة، كما تميّزت به الدراما الأردنيّة على وجه الخصوص.

**• ماذا يعني لك هذا المسلسل تحديداً؟**

لا يعني لي شيء غير كونه أول تجربة دراميّة لي، كما أنّه جلب لي دخلاً كنتُ في حاجة إليه، وهو في الحقيقة خارج عن دائرة اهتمامي الفكريّة، إضافة لكونه عملاً لدراما اجتماعيّة، برع فريق التمثيل فيه، وكان محبّباً للمتلقّي، وناقداً لبعض السلوكيات الخاطئة في المجتمع، لكنَّ طموحي واهتمامي الكبير كان منصبّاً على المسرح ذي الحمولات الفلسفيّة، مع علمي ويقيني مسبقاً أنَّها متعبة ومرهقة بنخبويّتها، إضافة لجمهورها القليل والمحدود، وإضافة إلى ذلك كلّه، إنَّها (لا تطعم خبزاً)، لكنّها غنيّة جدّاً بما يكفي أن تجعلني أهدر عمري؛ كي أصل بفرضياتي الفلسفيّة والفكريّة إلى من يهتمّ بها.

**• المسرح الصامت، مشاهد مكتوبة بحبر خفيّ، وبسحر جليّ أيضاً، حدّثني عن فرقة المسرح الصامت الأردنيّ لكونك مؤسّساً لها.**

فرقة المسرح الصامت الأردنيّ، هي فكرة مجنونة دفعني إليها عنفوان الشباب المتحمّس، وقد تمّ إنشاؤها في سنة 1987، وأنتجنا من خلالها عملاً مسرحيّاً صامتاً، وعملاً مسرحيّاً كوميديّاً ناطقاً، وهي ما تزال فرقةً تحت التأسيس، ولم تُسجَّل رسميّاً، اجتهدنا من خلالها على نقد الواقع الاجتماعيّ والاقتصاديّ، بأسلوب كوميدي ساخر، ولم ننجح في الاستمرار؛ بسبب الكثير من المعيقات، أهمّها تمويل الفرقة، وقلة الحيلة، لكنَّها كانت تجربة مهمّة بالنسبة لي، كانت رافداً معرفيّاً واقعيّاً، دفعني إلى إعادة الحسابات حين عرفت القيمة الحقيقيّة للمسرح، وعرفت أيضاً ضرورة ألّا يُقدّم المسرح إلّا بحمولات فكريّة عظيمة لأهميته.

**• قرأتُ مقالاً عن (هاوية الجنون)، عملك الروائيّ الذي يتناول تداعيات فلسفيّة، ربما لسرد ذاتيّ، وذاكرة فرضت نفسها، هل تمثّل الكتابة لك أو لشخوص الرواية قلقاً صاخباً، أم أنَّها هدوء قلق؟**

كثيرٌ من العباقرة والمفكّرين يعيشون حياتهم كلّها، ويموتون دون أن يلتفت إليهم أحد، وبين العبقريّة والجنون شعرة، وشاءت الظروف أن أتعرّف وألتقي ببطل روايتي (هاوية الجنون)، في رابطة الكُتّاب في جبل اللويبدة، واستمرّت هذه الصداقة خمسة عشر عاماً، كنتُ فيها نقيض بطلنا فكريّاً، كنّا نختلف كثيراً في الأفكار التي يطرحها، والحقيقة كنتُ أنطح في قرون من طين، على عكس بطلنا الذي كان له كعب عالٍ جدّاً، بالنسبة لشابّ تفتقر تجربته وحجم مطالعته إلى الكثير؛ كي يكتسب الوعي والمعرفة.

وكانت هذه اللقاءات والحوارات سبباً في دفعي إلى القراءة والبحث؛ كي أكونَ نِدّاً لهذا الرجل العظيم، الذي كان سبباً لجعلي أقرأ الفلسفةَ وكتباً كثيرةً خلقت بداخلي كنزاً معرفيّاً لم أحلم به يوماً، وامتدّت هذه الصداقة مع هذا المفكر خمسة عشر عاماً، والذي كان يقدّم أفكاراً فلسفيّةً مدهشةً، وأغربَ من الخيال في الكثير من الأحيان، ورغم قرب الرجل من رابطة الكُتّاب الأردنيين، تلك الرابطة التي وصل من أعضائها الكثير من الرموز الوطنية، وبعضهم وصل للنجوميّة، لم يلتقطوا مفكّراً بقامة بطل الرواية نبيه عقل.

وبالنسبة لي كنتُ ما أزال شاباً حالماً حينذاك، لا أمتلك المعرفة الكافية، وكنت أتلقّى وأنهل من الكتب ومن بطلي الشيء الكثير، لكنّي لم أستطع خلال تلك الفترة أن أصل

إلى ما أصل إليه الآن، كنتُ مثل طفل مشاكس، لكنّي أملك ذاكرة لئيمة، أهّلتني لاكتشاف الرجل بعد وفاته رحمه الله بسنوات، وكانت تجربتي معه من أغرب ما يمكن للمرء أن يتخيّله، لكنّي تمكّنتُ أخيراً من لملمة ما كنّا نتحاور ونتحدث فيه، ونختلف عليه، وتقديمه في عمل روائيّ، وإعادة إنتاج هذا المفكّر الكبير، وكانت تجربة أكسبتني الكثير من الحكمة والكثير من الصبر، وكما نعلم جميعاً أنَّ نقل الواقع لا يُثير الدهشة كالخيال، لكن أقول كما قال جلال برجس: عندما يكون الواقع يشبه الخيال، أو بمثل هذا المعنى.

أما بالنسبة إن كانت تشكّل شخوص الرواية لي أو للشخوص قلقا صاخباً، أو أنّها هدوء قلق، فأقول: إنَّ القلق – وأقصد هنا قلق المبدع – لا يشكّل فرقاً، لكن إذا ما اختلط هذا القلق بالقلق الوجوديّ، والسؤال الأزليّ المتعلّق بالوجود أو العدم، وهو محور الأسئلة، فإنَّ القلق يُلاحقني ويدفعني للاستمرار في البحث والقراءة التي تنتج الأسئلة، والأسئلة هي ذاتها تجرّنا إلى اللحاق بها، كما السراب في الصحراء، وهناك حيث لا جواب يشفي الغليل، بل أسئلة تتناسل بكثافة، وهذه اللعبة لا تنتهي إلّا بموت الباحث، ثم يجدها باحث وكاتب آخر يستمرّ، لعلّه يجدُ جواباً، ولا جواب.

**• على لسان البطل نبيه هل كان يجب أن نأتي لهذا العالم؟**

من هنا تبدأ الحكاية الغريبة العجيبة التي لا نجدها حتى في الأساطير، ومن هنا تبدأ اللعبة ولا تنتهي، وكما قال نبيه بطل الرواية: الحقيقة كاملة موجودة في أعماق كلّ إنسان، وتبدو مثل فقاعة في طرف الكأس، تحتاج لمن يُحرّكها كي تطفو على السطح، لكنّها تختفي.

**• بي ميلٌ إلى المسرح في الآونة الأخيرة، أدسّ المفردة في كائناتي السرديّة بوفرة، كما أنّي بدأتُ أعتادُ الكتابةَ عادةً يوميّةً، هلّا قدّمت لي ولزملائي نصيحةً تكبر فينا؟**

اقرأي، اجعلي عادتك اليومية القراءة، ثم القراءة، ثم القراءة، ثم الكتابة، والمسرح هو (أب الفنون)، وبوابة المعرفة.

**• أريد أن أختصر الأجزاء المحذوفة من أسئلتي بسؤالك عمّا يشغل قلمك، أين أنتَ من العمل القادم؟**

يشغل قلمي فكري، إنّني أعدّ لثلاثيّة أختم حياتي فيها، ما أختزنه في عقلي من سنوات، ومن تجارب وأحداث؛ كي أفيدَ بها الجيل القادم، وهي موسومة بعنوان رئيسيّ (الطوط)، ثم يليه المشعوذ، ثم الدفين، وهي رواية بثلاثة عناوين، ولكن يربطها قاسم مشترك يجعلها رواية واحدة في وحدتها البنيويّة، لكنَّها تُقرأ على ثلاثة مراحل، وأخيراً أشكركِ على هذا الحوار، وأشكرُ مجلّتكم الموقّرة وفريق تحريرها.

لوحة الفنان يوسف الصرايرة/ الأردن

- ضيوف الليل ..... أمجد مهنا
- مقامرة ..... ربى رسلان الريماوي
- ذكوات الاغتراب .. قال الشاعر يودّعُ صديقه الذي اغترب ..... محمد القادري
- رسائل تائهة ..... رنيم محاسنة
- كيف نميّزُ بينَ الأدب المدهش؟ ..... بيان أبو دية
- الجسور...عبور وشرود ..... أصالة لمع
- رَبـْعٌ ونَبـْعٌ ..... بلال السمارات
- عتمة الليل ..... ماجدة الطراونة

# ضيوف الليل

**أمجد مهنا**

في الليلِ يأتي هؤلاء
ويقعدون إلى جوارِك
مُمسكين بمعصميك.
كلّما اقتربَتْ سبّابتكَ الحزينة
من زنادٍ أبعدوها.
كلّما ضيّقتَ طوقَ المِشنقة
قاموا إليه ووسَّعوهُ.
وإذا هممتَ بالصّعودِ
إلى مكانٍ مرتفعْ
ذهبوا إليه ومهَّدوهُ.
وإذا اتّجهتَ إلى ثلاجتك
وبحثتَ فيها عن دواءٍ قديمٍ
ممّا اشترَتْهُ أمُّكَ الميتة،
أغلقوا بابها على أصابعك.
لا تعرفُ لهم مكاناً
لتنتظرَهم وتقتصَّ منهم
واحداً واحداً.

ولا تعرفُ لهم عُمراً
لتأملَ أن يموتوا وحدهم.
وإذا ما استطعْتَ أن تُمسِكَ
بأحد هؤلاء وتخنقه،
زاد عددهم في اليوم التالي.
تمرُّ الأيامُ وتشيخُ وحدَكَ،
ولا يبدو على أحدٍ منهم
أيُّ تقدّمٍ في السِّنِّ.
كلّما عاد المساء عادوا،
كأنّهم والليلُ شيءٌ واحد.
كلّما عادَ المساءُ
جاؤوا إليك وأوقفوك
عمّا يجولُ بخاطرك.
أحلامُكَ التي لم تحقّقها
والتي تحولُ بينكَ
وبين انتحاركْ.

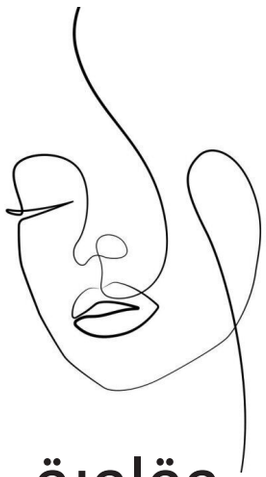

# مقامرة

ربى رسلان الريماوي

- يا إلهي ماذا لو أسلمتُ نفسي للرّيح؟

- ذات يوم أقدمت صديقتي على انتحار جريء، ألقَتْ بنفسها عن شرفة المنزل، حالفها الحظ، سقطت على جناح طائر، يعلم الله في أيِّ بلاد تتنعّم الآن!

- وتمنّت زوجي ذات يوم أن تذوق طعم السماء، هوت بنفسها في جنح الليل، فالتقمتها غيمة، كلّما يممتُ وجهي شطر السماء وجدتها تبتسم!

- لا، لا تُصغِ لهم، صغيري المسكين غرّته شمسُ الصباح الناعمة – وهو الذي بلّله دمع الليل الثقيل – ألقى بنفسه لحضن الشمس، فالتقمته قطّة شرسة نهمة، مزّقته أشلاء!

- وتوأمي ذات نهار دهسته حافلةٌ بعجالٍ قذرة!

- وأمّي طمعت في لمس رائحة العشب، فهوت وصُلبت على غصن شجرة، كلّما جنّ الليل هاج صوت نواحها وأرعد!

- لا، لا، الرياح ستقدّس مقامرتك، ستحملك إلى ذيل نجمة!

- ستُعطيك الشمسُ نورَها!

- تلصّص الحبلُ إلى الأفكار المختبئة في قلب المعطف، وذيل الجورب، وكفّ الوشاح، وأذن القميص، وظهر القماط، فهمس للملاقط الخشبيّة المُسجاة فوقه: أحكموا عليهم الوَثاقَ جيّداً.

# ذكوات الاغتراب

## قال الشاعر يودّعُ صديقه الذي اغترب

**محمد القادري**

عَجِبْتُ لرعبوبِ المها كيفَ طوّعَك ... وردَّكَ نِسـيًا لا عـليكَ ولا مَعَـكْ

أغــرَّكَ مـنــهُ النَّـزْرُ لمّـا رأيْتَـه ... وَطِبْـتَ بـهِ نَفْسًـا فمـا كان أقنعَـكْ

ولاتَ منـاصٌ أَنْ بـدَتْ لـكَ غـادةٌ ... تضيقُ بِكَ الدُّنيا فتشتاقُ مَصْرَعَكْ

رحلتَ غـريبًا رَحْلُـهُ ثقـلُ بـردِهِ ... فَسُـبْحانَ مـن بالغـارِ كلَّـلَ مَطلعَـكْ

وَسُـبْحانَ مَـنْ أولاكَ كُـلَّ فضيلـةٍ ... وَسُـقْياً لضـرعٍ بالمكارمِ أرضعَـكْ

لقد كنتَ فينا مُترَفَ العيشِ هانئًا ... فمَـنْ ذا الّـذي أزرى عليـكَ فَروَّعَـكْ

رَحَـلْتَ ونادينـا علـى البعـدِ مُترَفٌ ... يَصْدَعُـهُ التّذكارُ مـن حيثُ صدّعَكْ

تهـدّمَ أركـانٌ لـهُ وَهْـيَ ثُبّـتٌ ... كأركانِ قلبـي إذ هَـوَتْ حـينَ شـيّعَكْ

ويـا قلـبُ أيـن المُلـزمُ الشِّـعرَ حقَّـهُ ... وَأيـنَ الّـذي بالأمـسِ شنّفَ مسـمعَكْ

لقـد كنـتُ مثـلَ الرّاسـياتِ رصانـةً ... فكيـفَ إِذَنْ تحتـالُ والظَّبْـيُ أجزعَكْ

ألا أيُّهــذا الــوردُ مـن ذا يـلومـني ... إذا سـمْتَ مـن دون المهامـه مربعَـكْ

فيـا حـظَّ قـومٍ قـد تنزَّلَـتْ عندَهـم ... ويـا ثُكْـلَ جفـنٍ بـالـمدامـعِ ودَّعَـكْ

ألا أيُّهــذا الـوردُ بـاللهِ فانصفـنْ ... شـبابًا تقضّـى حسـرةً يـومَ ودَّعَـكْ

أفي كُلّ حولٍ تطلبُ الصَّبـرَ ظاعنًا ... تُحـاولُ نسـيانَ الّـذي كـانَ أوجعَـكْ

لعمــرُكَ مــا بعــدَ الدّيــارِ بنافـعٍ ... إذا كانَ مَـنْ تهـواهُ يسـكنُ أضلعَـكْ

تـأوَّبَنـي لـيــلٌ مَخــرَتْ عُبـابَـهُ ... فجـرّعَنـي بالسّـهدِ مـا كانَ جرّعَـكْ

يُجــرّرُ أذيــالًا كـإبطــاءِ غــادةٍ ... كسـولٍ إذا قامَـتْ تُجـاذبُ مجمعَـكْ

فقلْـتُ وليلـي مُدْلهِـمٌّ ومقطـبٌ ... ألا يـا أخـا العُشّـاقِ من ذاك قَطّعَكْ

أتثقِـلُ صبًّـا بـاتَ يرعـاكَ جفنُـه ... وَتُمْزِقُـهُ وَهْـوَ الّـذي أمْـسِ رقّعَـكْ

# رسائل تائهة

**رنيم محاسنة**

لم تكن تلك الندوب على جبهاتنا، والتي تخترق صفوَ ملائكيّة ملامحنا، سوى أطلالِ آلامِ اللّيالي الطويلة التي انقضت ونحنُ ندعو اللّه أن تمرَّ على عجلٍ، ندعو ونرجو ألّا تبقى آلامُها في صدورِنا، أن تُمحى من ذكرياتنا، أو أن يكون كابوساً لعيناً مهما طال، لكنّهُ سينتهي.

أنتَ لا تعرف معنى أن تنامَ متألِّماً كاتِماً لحشرجاتِ بكائك، لا تعرف معنى أن يرسمَ الدّمعُ مسارَهُ في خدِّك، ولا أن تنامَ بشروخٍ في قلبك، شروخ لن يشفيها الزمنُ كما يستمرّون بالادّعاء، وصوتٌ وحيدٌ تستطيعُ سماعَهُ، هو ألمُ روحِكَ وهي تردّدُ: «يا اللّه». تخرجُ مع زفيرِ النَّفَسِ المتسارع؛ لتزيدَ من سرعةِ نبضِ هذا القلبِ اللئيمِ، الذي ما زالَ مصمِّماً على إيقاع الألمِ بتلكَ الروحِ البريئة.

تنامُ بينَ كلِّ هذا على أمل أن تصحوَ فلا يكون، وإذ بكَ تصحو لتزولَ أنتَ لا ألمك، تصحو وكأنَّ ثقلاً لا يُحتمَلُ يرقدُ على صدرك، فضلاً عن القهوة التي نجت من دمك، وقرّرتِ البقاءَ تحت عينيك؛ لتزيدَ من ذبولِهما؛ لتجدَ الجروح تظهرُ ببراعةٍ مطلقةٍ في جسدكَ، بلونِها الأزرق، وتجدُ وسادتَكَ تحاولُ إزاحتَكَ وإبعادَكَ؛ لكثرةِ ما بكيتَ عليها.

عندما تفتحُ عينيك، وإذ بكلِّ ما مضى لم يكن إلّا واقعاً مريراً، وإذ بها غصّةٌ لا تعبرُ شراينَ القلبِ لشدةِ ألمِها، وإذ تجدُ نفسَكَ وحيداً بلا ملاذٍ أو مرجعٍ، إلّا لتلكَ الدُّمية الصغيرة التي ما زالت تحتضنُكَ منذُ البارحة، التي استمعَتْ لكلّ آلامك، وسمعَتْ صوتَ نشيج بكائك، تلكَ الصامتة التي تشاركك كلَّ أحاديثِك، وما زالت تحتضنك وتحتضن شروخَك، فأيُّ طريقٍ آلَت بها إليك؛ لتكون مواساتَك الوحيدة؟ أيُّ خيبةٍ تلكَ التي تجعل رئتك ترفضُ أن تزفرَ الآلام مع هواءِ زفيرِها، وكأنَّها كانت تتنفَّسُ سموماً لا أكسجيناً؟ وأيُّ انكسارٍ ذاكَ الذي يُحطِّمُ أعصابَكَ فلا تقوى على الوقوفِ مجدّداً؟ أيُّ الكلمات الأليمة كانت؟ أيُّ قسوةٍ؟ أيُّ انكسارٍ؟ أيُّ ألمٍ؟ بل مَن ذاكَ الذي جرَّعَنا الألم؟

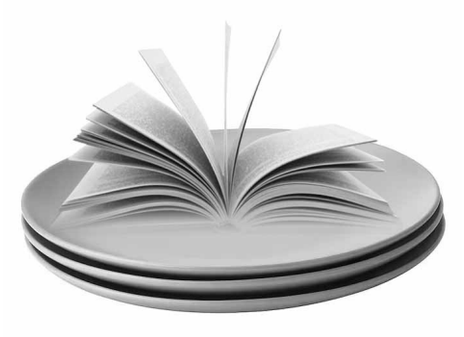

# كيف نميّزُ بينَ الأدب المدهش؟

**بيان أبو دية**

أخوضُ منذُ عدةِ أعوامٍ رحلةَ التساؤل، عن كلّ الأشياء والأفكار والأوهام، عن الفكرة المجرّدة، والتغيّر المتسارع في الأحداث دون نبوءة تُشير إلى متى سينتهي العالم عن التحوّل، بعض التساؤلات باتت فارغةً في أدب العصر الحاليّ، وبتُّ أسأل ما الذي يُميّز الأدب الحقيقيّ عن الأدب «المستعار»؟ وكيف يمكن للكاتب أن يُدهش قارئ حقبته وما بعد تلك الحقبة وللأبد؟ وهل مهمّة الكاتب أن ينسج أدباً «مدهشاً» وأبديّاً وصحيحاً؟ هل للدهشة مقياس؟ هل القصة أمكنة وأزمنة وشخوص تستحقّ أن تُروى؟ وجوهر الرواية أخيلة وأحداث وتسابق زمنيّ من الضروريّ نشره؟ وهل يمكن اعتبار الأدب أداة لتغيّر الواقع؟ لكونه يحمل قيمة سامية باعتباره مؤشّراً يرصد حقبةً من التاريخ.

الأدب هو سيرة الإنسان، أُسلوب يتفرّد فيه لجعل المكان مكانًا والزمان زمانًا، بغير المكان وغير الزمان، عالم يحتضن عالمًا أصغر منه، كدمية الماتريوشكا الروسية، شاهد حقيقيّ على قوة حضور الأشياء، وتبدّد الأوهام في ما بعد، حالة ذهنيّة من وصف الحوار الذي يجري بين الحركات الكونيّة، وقدرته على نقد الواقع، والإيمان المطلق بالتجارب الماضية والإخفاقات الراهنة.

والأدبُ قادرٌ على قيادة الواقع وتوجيهه، وجعله مرشدًا أكثر منه انعكاسًا، ويبدو لنا أنَّ الأدب ساعة الزمن ودمج الحيوات، لا بالتزامن، إنّما بتوازٍ لا تطابق فيه، يُثير الدهشة والرغبة في قراءة المستقبل في ما بعد.

إذن.. أليس الأدبُ المُتنبِّئُ بالمستقبل داعياً للدهشة؟

إنَّ الدهشة في ما هو لحظيّ تختلف عن الدهشة الباقية والممتدّة، فالتراكيب المُعقّدة، والانسياب اللّغويّ، والتمسّك بالفكرة، أمرٌ يثير الإعجاب بالنصّ، وقد تختفي لذّة النصّ ودهشته مع تزاحم الكتب الأخرى، ودخول أساليب جديدة في الأدب، وتُنسى. أمّا الأدب الذي يجرّد الواقع من سوداويّته، ويسرد لنا ما تحت المنطوق، ويحلّل الوقائع، ويقدّم تبريرًا لما هو وحشيّ في طبع الإنسان، لهو أدبٌ مدهش مدهش!

ثمّة أشياء لا تُعَدّ ولا تحصى في الأدب؛ لكونه شاهداً وراصداً لاستنساخ المشاعر والوقائع التاريخيّة، يتحدّث جوزيه ساراماغو عن ذلك في رواية «العمى»، عن حقيقة أن يجعل الوباءُ من البشر عميانًا عن كلّ القيّم الإنسانية، وما قدّمه جورج أورويل في «1984» الرواية التي كتبها في عام 1948، وما زالت حاضرة حتى الآن، عن طريق رصد التلاعب المستمرّ بالجماهير والقيّم الأخلاقيّة، في عالم لا يخلو من حرب وصراع، ونزاعات حكوميّة، وتفريق عنصريّ. الأمر ذاته نجده في ديستوبيا «مزرعة الحيوان»، التي تُعَدّ شاهدًا على قوة الثورة في تغيير نظام الحكم، وأحيانًا تُغيّره لما هو أسوأ، وهنا نجد أنّ اللبنة الأساسيّة في الأدب محاولة علاج الإنسان، للدهشة الأبديّة لا اللحظيّة.

لا يمكن للإنسان أن يؤكّد سلطته على شيء في الوجود، إلّا إن استطاع أن يجعله يقاسي الألم، فالانصياع لإرادة الحياة ما هو إلّا تجسيد للانصياع وراء الألم الذي تزرعه فينا، والخوف الذي وصل ذروته، وتكرّس بحقيقة الإنسان، لا يمكن تبديده إلّا من خلال الأدب، فالشخصيّات الروائيّة وسيلة لعلاج الإنسان.

وهنا بدا أنّ لا مجال للشّكّ بعد ذلك في العالم الذي يصوّره الأدب، وما يمكن أن ينتجه عند اتخاذ الإنسان فكرة لا تختفي مع دخول الأشياء في عالم شاسع أغرته المادة، فالكاتب الذي يدرك اللحظة التي يجب أن يقول فيها شيئًا للعالم، يبدأ بالكتابة عن نفسه، وما هو عليه من تجسيد للنزعة الوطنيّة ومعيار الإنسانيّة، والظروف المحيطة والصعوبات، التي تتفاوت من حقبة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر، وكذلك من أدب إلى أدب آخر، ولهذا كان الشعور ثقيلًا في أدب وخفيفاً في أدب آخر.

وأخيرًا لقد تشكّل السِّرّ واكتمل السيناريو، العالَم الماديّ الأكبر بكلّ اختلافه، تجسيدٌ موحّد لما هو في داخل الإنسان، والطريق القصير بين البداية والنهاية، دلالة على أنّ العالم على وشك الانتهاء، والريبة تدفع الإنسان للفكرة، والأدب ينتج من هذه الفكرة.

# الجسور...عبور وشرود

**أصالة لمع**

بنينا الجسورَ

لنعبرَ

إلى الضفّةِ المقابلةِ

من أيِّ شيء

نهرٍ

هوّةٍ سحيقةٍ

أو أشياءَ داخلَنا

شعّلتها الأيام

كحُبٍّ قديم

لم يصبحْ ذكرى تماماً

حُلم لم يتحقّق

ولم يَعُدْ صالحاً مع الزّمن أيضاً

كخطأ واحدٍ

أنجبَ قبيلةً من وساوسِ النّدم

كفرصةٍ ضائعةٍ

كلمة لوم

لحظة حرجٍ عابرة

أو فكرة ماضية عن أنفسِنا

نحتاجُ إلى أن نقطعَها

قبلَ أن تقطعَنا.

بنينا الجسورَ

تصوّرنا

أنَّ الجسرَ لن يذهبَ أكثرَ من فكرةِ الوصل.

لكنَّ الجسورَ

في ما كانت تُعَدُّ التقاءاتِ الأمكنةِ المستحيلةِ

صارَ لها هاجسُها الخاصُّ بالهاوية.

وفي ما كانت تعيدُ ترتيبَ المسافةِ

مع العالقِ منّا بعيداً

صنعَتْ لنا هاجسَنا الخاصَّ بالوصول.

والجسرُ الّذي كان سيربطُ

ضفّتينِ

وحياتينِ

صار بحدِّ ذاتِه
وجهةً
تكتظُّ بالحياة.

الشّابُ الذي تسلّقَ حافّةَ الجسرِ
لم يكُنْ يريدُ أن يموتَ
كان يريدُ أن يعانقَهَ أحدُهم
ليتأكّدَ
أنَّ الجسورَ قد تنهارُ
في غيابِه
وأنَّ الهاويةَ
أبعدُ
من الضّفةِ الأخرى.

يحدُثُ أن تُولِّـدَ الأشياءُ
أشياءَ أخرى
أجملَ منها.

هكذا صارتِ الجسورُ
أجملَ من الضّفافِ
ودوارُ أن تكونَ واقفاً فوقَ الهاويةِ
أجمل من الخطوةِ
الّتي تجتازُ بها عتبةَ منزلٍ دافئ
وأشياؤكَ المعلّقةُ مع ذاك الذي كنتَهُ
في ماضٍ بعيد، ماضيك
أجمل من هذا الذي بلا ملامحٍ
وتريدُ العبورَ إليه.

ربّما
لم نبنِ الجسورَ للعبورِ فقط
إنّما للشّرودِ بها أيضاً
وكلُّ شرودٍ
عبور.

# رَبْعٌ ونَبْعٌ

بلال السمارات

خليليَّ قوما علّلاني وكَركِرا ... تراءى أمامي والنُّعاسُ تعذّرا
ولا تُنكراني لا أطيقُ تنكُّرا ... وشمسٌ بيومِ الوصْلِ أبطأَ سيرُها
وَعُوجا على ما كانَ قبلَ فِراقِنا ... وليلٌ بليلِ الوصْلِ أصبَحَ مُقمِرا
أثيرا بنا ما كانَ ولّى وأدْبرا ... أرى أنَّ لا شيئاً يدومُ صفاؤهُ
ولا تُنكرا بي الدَّمعَ حينَ ذكرتُهُم ... وكم ضاحكٍ بالأمسِ عادَ مُكَدَّرا
ومن عادةِ المشتاقِ أن يتذكّرا ... وما ميِّتٌ قد عادَ بعدَ رحيلِهِ
وأدري بأنَّ الشّوقَ ما ردَّ راحلاً ... ولا يابسٌ في العودِ عادَ وأخضَرا
فما لفؤادي لا يطيقُ تصبُّرا ... فلا تعذلاني حينَ هجتُ فإنَّ لي
سلامٌ عليهم قائمينَ ورحّلاً ... فؤادٌ تلظّى شوقُهُ وتفجَّرا
سلامٌ عليهم ذاكرينَ ونُكَّرا ... أحِنُّ إلى جَدٍّ يسُرُّ حديثُهُ
خليليَّ طوفا بي دياراً رغبتُها ... وبطني لخُبزِ الصّاجِ زادَ تضوُّرا
وحُطّا على أطلالهم وتبصَّرا ... أحِنُّ لـ «عليا» والحنينُ يسُرُّني
هُنا كانَ لي رَبْعٌ ونَبْعٌ وصُحبةٌ ... ومَن مثلُ «عليا» فاحَ مِسْكاً وعنبرا
وغيمٌ إذا ما كنتُ أظمأُ أمطرا ... خليليَّ عُودا بي إلى حيثُ كُنتما
ملاعبُها أشجارُها وسُفوحُها ... فلا تُكثِرا لومي ولا تَتَنَدَّرا

# عتمة الليل

**ماجدة الطراونة**

لا أدري أهـيَ غيبوبـةٌ ألمّت بي وأفقدتنـي الوعـي، أم مفعـولُ مخـدّرٍ وُضِـعَ لي في الطعام أفقدني الإحساس بما يدور حولي من أحداث؟ عندما أفقتُ من هذه الوضعيّة، وجدت نفسي في عتمة شديدة لا أستطيع أن أرى إصبعي وأنا أرفعه أمام عيني، تساءلتُ في نفسي: أين كنتُ؟ وأين أنا الآن؟ ومن الذي فعلَ بي كلَّ هذا؟ وأين كانَتْ أحاسيسي وأعصابي؟ ألم أكن على قيد الحياة؟

استدرتُ إلى الجهة الأخرى، فوجدتني أستطيع فعل ذلك، ثم أمسكت بشيء أحسُّ به ورائي، فوجدته أشبه ما يكون بالوِسادة، هززتُ نفسي فاهتزّ ما تحتي، فأيقنتُ أنّني على سريري ما زلت.

من الذي أطفأ النور عندي؟ أهو انقطاعٌ مفاجئٌ لعطلٍ في شركة الكهرباء، أم أحدٌ تقصّد وأطفأ كلَّ الأنوار حولي؟ حتى إنّني لم أعتَدْ على إنزال أباجور النافذة في غرفتي، فهو يُشعرني بالخوف ووحشة القبر. إذن من الذي أسدل الستائر وأنزل الأباجور، وجعل الغرفة في كلّ هذه العتمة التامّة؟

لقد نمتُ وإنارة الشارع المُتطفِّلة على غرفتي عبر النافذة تضايقني، فأدرتُ جسدي إلى الجهة الأخرى بعيداً عنها، هذا آخر شيء أتذكّره عندما أويتُ إلى فراشي لأنام، صرختُ بعلو صوتي، أنادي ابنتي التي تنام في الغرفة المجاورة لغرفتي، فجاءت مُسرعةً مفزوعةً.

- شو فيه ماما؟ تعبانه ولا حلمتي حلم مفزع؟!
- لا أبداً، لكن هل الكهرباء مقطوعة؟
- لا ماما.. الكهرباء جايه.
- طيّب.. أنا صحيت لقيت حالي بالعتمة!
- لا بدّ أنّكِ كنتِ تحلمين، ارجعي نامي يا ماما، واستعيذي بالله من الشيطان، رح أجيبلك ميّه.

تُحضر لي ابنتي كأساً من الماء، ثم تخرج وتقفل الباب وراءها.

- تصبحينَ على خير ماما.

ها هي العتمة مرة أخرى، لا بصيص ضوء يخرق المكان، ضيق تنفّس شديد أصُبت به، وهبوط عامّ في النفسيّة والإحساس، أنفاسي تشتدّ، وقلبي يبطئ في حركته ونبضه، كأنَّها علامات موت حقيقيّة أُصاب بها. خدران يصيب أطرافي، بدأت أستسلم للموت، وصرتُ أُرحِّب وأستحسن الأمر، استدرتُ وتلمّستُ الوِسادة، ثم أغرقت وجهي في وسطها محاولةً التسريع في موتي، كتمتُ أنفاسي، لعلَّ قلبي يتوقّف عن النبض.

مرَّتْ دقيقةٌ على هذه الحال، وبدأت في الدقيقة الثانية أكابر على أنّني أريد أن أذهب إلى القبر بكامل إرادتي، ثوانٍ معدودةٌ، وإذا بي أسمع صوت رسالة صوتية على ماسنجري، حينها وجدتُ نفسي أرفع راسي وأتحسّس هاتفي الجوّال، وأضغط على كبسة الإنارة، فيضئ جميع ما حولي.

لوحة الفنان زيدان عزام/ الأردن

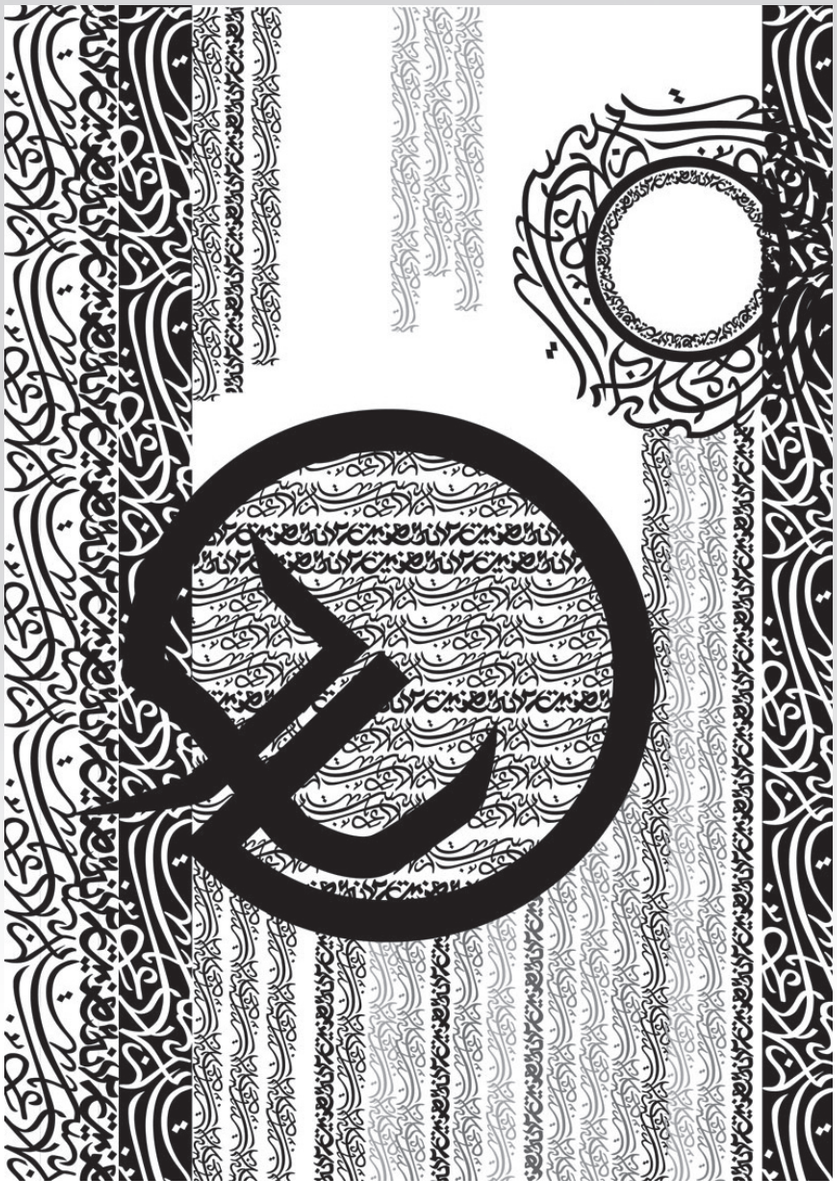

حروفية الفنان نجا المهداوي/ تونس

**الرّوحُ الحارسة**

نهال عقيل

# الرّوحُ الحارسة

نهال عقيل

**« أكتبُ لأنَّ حياةً واحدةً لا تكفيني». ..... العقاد**

**«إنّني أكتب لكيّ أغيّر نفسي، ولكي أكفّ عن التفكير في نفس الأشياء السابقة». ..... ميشال فوكو**

**«أكتبُ لأشعرَ أنَّ لكلّ تفاصيل الحياة معنىً وأغنيةً جديدةً..». ..... نهال**

أُهـرَعُ للكتابـة خفيفـةً كمـا طائـر مـن القـشّ يخـفّ بجناحيـه للأعلـى بعيـداً عـن الأرض، فالروايـةُ في عُـرف الكتابـة هـي مِطرقـة لـكلّ أشـكال الوهـم التـي أتلفـت وجـود البشـر وتفكيرهـم. أُهـرَعُ بالكتابـة نحـو أنـاس – شـخصيات - مـن اختـراع الخيـال المعقـول، أنـاس غربـاء أجالسـهم وأحادثهـم، وأشـاركهم قلقهـم الخـاص، أبنـي بينـي وبينهـم جسـوراً مـن تفاهـم عميـق عـن الحـبّ والفقـر، والمـال والحـرب، أُشـاركهم البـكاء والغنـاء، والمـزاح والخـوف والقلـق، تتضـح شـيئاً فشـيئاً ملامحهـم ورؤاهـم وتصوّراتهـم، يكابـدون قسـوة الواقـع كأنّهـم في طاحونـة عظيمـة.

أؤمن أنّ الحُبَّ جوهرٌ في الكتابة الإبداعيّة، فالحُبّ عقدٌ مقدّسٌ بين الكاتب وشخوص روايته، أتقاسم الحُبَّ مع شخصياتي وأتقمّصها بعمق في روحي، وبتوازن بين العقل والخيال. أحاول تنقيح الشخصيّة من المثاليّة الروائيّة؛ كي تصبح إنساناً اجتماعيّاً، هو صديق حميم للقارئ، وإلّا فقدت الكتابةُ الإبداعيّةُ أثرَها الاجتماعيَّ وعمقَ رسالتها الفكريّة.

الكتابة هي عملية انتقاء وإقصاء، ورفض وتمرّد، شكلاً ومضموناً، تحتاج إلى جهد ودأب الكاتب، والسيطرة على العمل الروائيّ، ترتبط بثقافة الكاتب وموهبته الإبداعيّة، لذا أقرأ كثيراً وأكتب قليلاً، أقرأ قبل الكتابة وأثناء الكتابة، القراءة فعل مستمرّ يُشعرني بالحياة والتجدّد.

ماذا أقرأ؟

القراءةُ هي الهدهد، أقرأُ كلّ شيء يدلّني على أصدقائي الخياليّين الذين أكتبهم، أقرأ كلّ ما يُقرّبني من فهمهم، ويجعلني أتقاسم وإياهم حيواتهم وقلقهم وأحزانهم، ضحايا وأبطال، وفي الكتابة لا أنحاز لجنس دون آخر، ولا أدافع عنه، فالحياة هي رجل وامرأة معاً، وكلاهما مسؤول عن العائلة والمجتمع والوطن، لذا أُلقي بشخوص الرواية في لُجّة الأحداث، وأفكّر كثيراً ماذا سيفعلون؟؟ كيف سينقذون أنفسهم والآخرين؟ أتأمّلهم بحياد وحزن، وأبكي من أجلهم، وأبكي لفراقهم كأنّهم أناس حقيقيون، عاشوا معي، وتقاسموا حياتي وكوب الشاي والأغنيات، وغادروا ذات يوم ملوّحين بالوداع، تلك اللحظة التي تصبح فيها الرواية ملك القارئ والناقد معاً.

كتابةُ الرواية هي قلقٌ يستبدّ بي في زحمة الحياة بكافة مسؤولياتها، الكتابة تُشعرني بالطمأنينة، هي إحساس يُلحّ عليَّ بأنَّ ثمّة شيء ينقصني ويجعلني حزينة، وأعرف

نفسي: «أنا حزينة لأنّني لم أكتب منذ مدّة، أشعر بإثم كبير؛ لأنّني لم أتفقّد أصدقائي الخياليّين، إنّهم وحيدون ومُعلّقون في الفراغ».

قد تمتدّ بي الكتابةُ لساعاتٍ طويلةٍ، فأكتب صفحة أو صفحات، وقد أبتعد بضعة أيام فقط، فلا أكتب شيئاً، الكتابة مسؤولية فكريّة وجماليّة، إنّها فنّ وفكر مجبولٌ بالقلق والخوف، الأفكار كثيرة، واللغة غنيّة، ولكن بناء عالَم روائيّ مُبدع هو تحدٍّ للكاتب شكلاً ومضموناً، من حيث المضمونُ يُقصد به عمق التجربة وغناها، وثراء الثقافة، وصوغ اللغة الثمينة، والأفكار الملهمة وجدواها، أمّا شكليّاً، فيُقصد به البناء الروائيّ تقليديّاً كان أم حداثيّاً؟ وفي هذه النقطة الأخيرة يؤرّقني جدّاً شكل الرواية وقالبها البنائيّ؛ لأنّه يلعبُ دوراً مهمّاً في إبداع الرواية وكيفيّة تقديمها للقارئ.

أتقمّص المكان الذي تجري فيه أحداث الرواية والزمان، أغمض عينيَّ وأفكّر فيه، وأريده بكثافة وصدق، الإرادة تجعله حقيقة واقعة، فأؤثّثه بما يناسبه من إمكانات وأحاسيس، وثياب وأفكار وأحاديث، بعيون كبيرة أراهم – أي الشخوص – يتحرّكون، ويتعرّون، ويكذبون، ويبكون،

ويغضبون، ويتزوّجون سرّا، ويضعفون، ويثورون، ويشتمون الحكومة وأنفسَهم. لكلّ شخصيّةٍ لبوسُها وحكايتُها، ومخاوفُها وتضحياتُها، وبؤسُها وقلقُها الخاصّ والعامّ، وجوهر الكتابة الإبداعيّة في كتابة الرواية، هو كيف أؤلّف عالَماً إنسانيّاً مُقنعاً، وأقدّمه للقارئ؟

إنَّ أصعب خطوة في الكتابة، هي أن تحدّد المشهد الأول، الموقف الأول، الجملة الأولى، الصفحة البيضاء تجعلك تشعر بأنَّكَ عارٍ أمام نفسك، ومفضوحٌ أمام أفكارك وحياتك وثقافتك، ما تعرف وما لا تعرف، تجاربك وخبراتك، إنّه تحدٍّ للكاتب يواجهه بإرادة وشغف.

المسألة ليست بهذه البساطة التي أكتبها عن الرواية، إذ لا توجد طريقة للكتابة الإبداعيّة، وإنّما هنالك مخزون فكريّ في الذاكرة، ثقافة متجدّدة، وجهد وصدق مع الذات، وخيال معقول يصدّقه الآخرون، وعاطفة، فإنَّ نجاح أيّ رواية هو مقدار حساسيتها تجاه الموضوع، وليس الموضوع نفسه، والعاطفة هي المِحكّ النهائيّ في الكتابة، وإلّا أصبحت الروايةُ ذابلةً ومجرّدَ كلمات.

أقرأ الآن شيئاً من دفتر صغير خاصّ بي تاريخ 7/ 9/ 2021م

«بدأت بكتابة أول صفحة في رواية جديدة بعنوان «نساء عمّان»، ما أصعبَ البدايات! أحاول أن أتخيّل سمر تقف في الصالون وحيدة...».

الآن نحن في تاريخ 17/ 6/ 2023م، وما أزال أنجز هذه الرواية التي تغيّر عنوانها، وأصبح لها عنوان آخر، ما أودّ أن أقوله من الاقتباس البسيط: إنَّ العملَ الروائيَّ ليس رقمَ تصنيفٍ يُضاف في سيرة الكاتب، العمل الروائيّ هو ثورة فكريّة تُغيّر حياة القارئ، وتُثير في أعماقة أسئلةً كثيرةً عن ذاته والعالم من حوله.

لوحة الفنان يوسف أحمد/ قطر

لوحة الفنان سلطان الجريس/ السعودية

لوحة الفنان عمر العطيات/ الأردن

المختبر

- الجلوس إلى جمانة الطراونة وتداعيات الفوز بجائزة أثير ........ محمد الهادي الجزيري

- لغةُ السّردِ واللّونِ على وقع نبضات الحُبّ
في رواية قلوب من نار للروائيّة دلندا الحسن ............................ سريعة سليم حديد

- جائحة الكتابة ....................................................................... عبير الديب

- واقع القراءة الشبابيّة في العالَم العربيّ الإسلاميّ ....................... هشام أزكيض

- رواية «زغرودة الفنجان» من سجون الاحتلال:
أساليب التلاعب النفسيّ لتجنيد العملاء ...................................... أماندا أبو نحلة

## الجلوس إلى جمانة الطراونة

# وتداعيات الفوز بجائزة أثير

**محمد الهادي الجزيري**

معتدّةٌ بنفسها في تواضعٍ ربّانيّ، تجلس إليها فتجيبُ على استفساراتك بسلاسةٍ زلاليّةٍ وتمكّنٍ فريد، وتفتح لك قلبها وعقلها، وتجيبك بكلّ أريحيّة، بل تُفحمك حين تُسأل عن القانون، واتّخاذه مهنة إلى جنب الشعر طريقةً للعيش، كما أنّها من طينة أردنيّة، تصهل في جرش والرمثا، وما تزال تَعِدُ بالكثير والثمين والنفيس في الشعر والأدب.

أمّا اسمها، فجمانة الطراونة، هواياتها الفروسيّة والرماية وسباقات السيّارات، وأمّا المستبدّ بها والموغل بها في أفقٍ لا حدّ له، والمنبثق منها ورداً، والمحيط بها حريرَ كلامٍ ومعانٍ ومجازاتٍ وحكايا، فهو الشعر، والدليل أنّها سبحت في لُجّه، وتُوّجت بجائزة «أثير» للشعر، وحين سُئلت عن كثرة الأسماء والرموز الدينيّة، والاستعارات القرآنيّة في قصائدها، وعن أسباب اعتمادها للتراث الدينيّ مصدراً؟ ردّت بأنّ نشأتها كانت في بيئةٍ فيها للجانب الروحيّ مساحة واسعة، وفي الطفولة حفظت أجزاءً من القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة، والأوراد القرآنيّة، كلُّ هذه المرجعيّات ساهمت في تكوينها الشعريّ لاحقاً، وعند كتابتها للشعر شكّلت تلك الأجواء الروحانيّة أرضيةً ثابتةً، يشقّ منها جوادُ قَريضها رياح المجازات.

وعندما أردتُ أن أُفحِمها، وطرحت العلاقة بين دراسة القانون واتّخاذه مهنةً والشعر كيف توفّقُ بينهما، في حين أنّهما من عالمينِ مختلفينِ، حتى لا نقول «متناقضين»؟، لم تجد حرجاً في السؤال، وكان الردُّ شعريّاً، فدندن معها الكونُ هذه الكلمات:

«الأصل أنَّ الشعراءَ محامون

فأساسُ العدل هو الميزان

وأساسُ الشّعرِ هو الميزان

وأساسُ الصَّرفِ هو الميزان

وأنا كوني من أهل القانونِ يشغفني الميزان

ولأنَّ التأويلَ يقوم على الحُجّة

والتخريج النّحويّ يقوم على الحُجّة

ومجاز الشعر قرينته حُجّة

وأنا بنت القانون أكثر مَنْ يعرفُ بالحُجّة

قد كان البوحُ نوافذَ فهمي للتشريع، فسماعي للطرفينِ

بغير حيادٍ يشبه في الشعر التصريع».

والحقيقةُ أنّي مشاكسٌ بطبعي، لقد نجت الشاعرةُ من فخاخي، ولكنّي نصبتُ فخّاً آخرَ إذ قلت لها: كتبتِ شعر القريض والتفعيلة، ما موقفك من قصيدة النثر؟ فكان الجواب مُقنعاً، إذ رأت أنَّ النفس البشريّة تأنسُ للإيقاع، وتطمئنّ للترتيب، وهذا ما يتوفّر في النصّ العموديّ وقصيدة التفعيلة، والذي قد يغطّي على جوانب سلبيّة أخرى في النصّ، على الأقل تجعل المتلقّي يتقبّل النصّ إلى حدّ ما، أمّا في قصيدة النثر فالشعريّة هي الفيصل.

أما أن تكون متمكناً من كلّ أدواتك، مختلفاً عن غيرك، سريعاً، رشيقاً، مراوغاً، تعرف متى تبدأ، وأين تنتهي، وكيف تأتي بالمغاير المدهش، أو لن تزيد على أن تقول كلاماً عادياً، وهناك مقولة أظنّها الأكثر توصيفاً بالنسبة لتعاملي مع قصيدة النثر، وهي: «يأباني أحسنُهُ وآبى رديئَه».

ولمّا تطرّقتُ إلى موضوع وحي الشعر، وأردتُ معرفة متى تكتب؟ أو متى يهبّ عليها ملاك الإلهام؟ هل تسهر له أم تستيقظ باكرةً في انتظاره؟ ردّت عليَّ بالقول إنّه لا توجد لديها طقوس معيّنة تتبعها لكتابة الشعر، ولا ارتباط لكتابة الشعر عندها في وقت أو زمن محدّد، أو حتى في مكان معيّن، فالشعر عبارة عن أفكار مختمرة، خاملة، تنشط عندما تجد ما يُحفّزها، وكأنّما يوحى إليَّ، فمتى حضرَتْ جنّيّة الشّعر، انثالت الأفكار، ومضت في الغناء بعيداً، فأنصتُّ إليها:

«الشّعرُ بعض الوحي قلتُ دحضته

إذ ليس من وحي كهذا الصاعدِ

إنّا استرقنا السمع عن كثبٍ ولم

نرجم لنبل القصد لا للقاصدِ».

بعد الشعر وجب الاستفسار عن جديدها في هذه الفترة، فعلمنا منها أنّها تُعِدّ لديوان جديد عنوانه (خاتم الياقوت)، يضمّ نصوصاً جديدةً لم يسبق لها نشرها، وحين ذكّرتها بأنّها فارسةٌ تحبُّ ركوب الخيل، وتمارسُ الرماية التي علّمها إيّاها المرحوم الوالد، فهل يا ترى ثمّة شيء آخر لا أعرفه، تعشقه وتخفيه كهواية أخرى؟ فأجابت بسلاسة بالغة، بأنَّ هوايةَ الفرد جزءٌ لا يتجزّأ من شخصيته، يعبّر بها عن مكنونات ظاهره وباطنه.

ومن الهوايات التي لا تعلم بها الأغلبيّة ممّن حولها، هي أنّها تعشق سباقات السيّارات، وخصوصاً التي تكون في الصحراء أو على أرض ترابيّة، وتوغّلنا في الحديث إلى جائزة أثير، وأردتُ أن أعرف كيف استقبلَتْ خبر الفوز بالجائزة الأولى في مسابقة أثير، كيف تفاعلَتْ مع البشرى؟ فكان الردّ سريعاً، إذ عبّرت عن سعادتها بإنصاف قصيدتها، وبفوزها في المركز الأول، وأهدَتْ فوزها بالجائزة إلى من غرس حبّ سلطنة عُمان في قلبها، إلى خالها التربويّ الفاضل، الأستاذ عبد الكريم الطراونة، الذي عمل مدرّساً في مدرسة السلطان لما يقارب ثلاثة عقود.

وعن سرّ التعلّق بمطلع الشمس، فهي حاضرة في نصوصها، ومن بينها النصّ الفائز، أجابت بكلّ أريحيّة وصدق، بأنّها لا تعلم سبباً لحبّها لسلطنة عُمان، فكما يقال: «أصدق الحُبّ ما نجهل سببه». تحبّها هكذا دونما أسباب، لكن هناك ما عمّق هذا الحبّ والتعلّق بالسلطنة، وهو العلاقات الوديّة التي تجمع بين المملكة والسلطنة التي أسّس لها جلالة المغفور لهما، جلالة السلطان قابوس وجلالة الملك حسين، ولمواقف سلطنة عُمان المشرِّفة عربيّاً ودوليّاً، وربّما للتشابه بيننا، تلك الدولة التي تقف من الجميع على مسافة واحدة، بلد الحبّ والجمال، والتسامح والإخاء.

ولعلّ أهمّ ما يربطها بالسلطنة الآن وجدانيّاً وعاطفيّاً، إحساساً وشعوراً، هو ارتباطها بالأديب والكاتب المسرحيّ الشاعر عبد الرزاق الربيعي، الذي يشبه عُمان كثيراً، وهو خير مثال لتوحّد الإنسان بالمكان وامتزاجهما معاً.

وبخصوص الكتابات الكثيرة والدراسات العديدة التي حبّرها أساتذةٌ كرام، وإلى أيّ مدى اقتربت هذه الدراسات من تجربتها؟ طلبت السماح لها بأن تتقدّم بجزيل الشكر للأساتذة الأجلّاء الذين اتّخذوا من دواوينها وقصائدها أنموذجاً لدراساتهم النقديّة، فهم أكاديميّون وأسماء بارزة في مجال الدراسات النقديّة، ولكن كما يعلم الجميع أنَّ العمل النقديّ يتناول ملمحاً واحداً من ملامح التجربة الشعريّة لدى الشاعر، ولذلك كلّ ما قدّمه الأساتذة الأجلّاء، فقد أثروا الملامح النقديّة التي تناولوها، إلّا أنَّ هنالك جوانب أخرى، ما زالت في قصيدتها بشكل خاصّ، وفي تجربتها بشكل عام، في حاجة إلى دراسةٍ، وقبل أن أودّعها طلبتُ نزراً من شِعرها إن تفضَّلَتْ، فأهدت جميعَ نساءِ العالم، وعلى رأسهن أمّها الناقدة الأولى لشِعرها، هذه القصيدة:

«جنّة الدّنيا امرأةْ

والأغاني غربةٌ لولا امرأةْ

وأرقّ الشعر من وحي امرأةْ

ورؤى العشّاق أحلام امرأةْ

وسنين العمر تحلو بامرأةْ

أيُّ يومٍ لم يكن يومَ امرأةْ؟

«كان يا ما كان» تحلو بامرأةْ

باقةُ الوردِ امرأةْ

نفحةُ العطرِ امرأةْ

طلعةُ الشّمسِ امرأةْ

لمعةُ النّجمِ امرأةْ

زُرقةُ البحرِ امرأةْ

خفّةُ الظّلِّ امرأةْ

راحةُ البالِ امرأةْ

بذرةُ الحُبِّ امرأةْ

والحنانُ المحضُ

والدّفء امرأةْ

فوقَ هذا كلّهُ البيتُ امرأةْ».

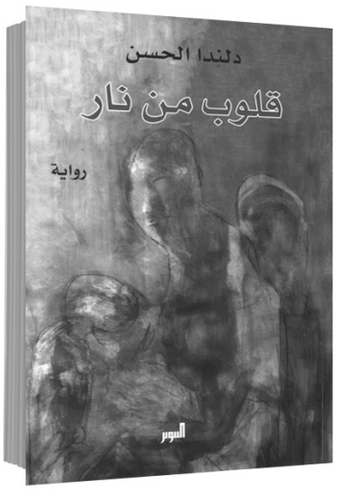


# لغةُ السّردِ واللّونِ على وقع نبضات الحُبّ
# في رواية قلوب من نار للروائيّة دلندا الحسن

سريعة سليم حديد

رواية «قلوب من نار» بقلم الأديبة والفنّانة التشكيليّة الأردنية «دلندا الحسن»، مساحة استعراضيّة واسعة للأحداث الاجتماعيّة، التي جرت ما بين فلسطين وأبو ظبي والكويت، استطاعت الكاتبة من خلالها دمج السّرد اللُّغويّ بألوانها التعبيريّة الخاصة، بأسلوب رومانسيّ مميّز، فعكست أوضاع شخصيّات عدة جمعتهم لغة الهجرة، وأشعلت في قلوبهم نار الحُبّ المتّقدة، فقد اتّجه الهدف بشكل خاصّ إلى إحضار مأساة التشتّت الفلسطينيّ؛ لتكون المُنطلق الأساسيّ في توجيه دفّة الأحداث.

جاءت لوحة غلاف الرواية بريشة الفنانة التشكيليّة «دلندا الحسن»، حاولت من خلالها عكس إحساسها وانطباعاتها نحو شخصيّات الرواية، باستخدامها الملامح الغامضة وسط ضبابيّة الألوان ولعبة الظّلّ والنور، التي تنقل المتلقّي إلى عوالم غريبة، وتضعه على شرفة التوقّعات المختلفة.

كانت البداية لافتة للدخول إلى عالم الرواية بقصة الزوجينِ اليابانيينِ، المسرودة بلطف وعناية؛ لتكون الخيوط الأولى التي تشدّ الأحداث إلى مراميها، الشاب «ميكيموتو» الذي قام بزراعة اللؤلؤ محبّةً بزوجته «أومة»، شكَّل تحدّياً

كبيراً عبر لغة التعامل التجاريّ، فبدأت هذه المهنة تنتصر على تجارة صيد اللؤلؤ الطبيعيّ، خاصة في الخليج العربيّ، ومن ثمّ طغيان شركات النفط، من هنا بدأت الرواية ترمي مراسيها وفق تغيّر المناخ السياسيّ؛ بإعلان بريطانيا احتلال فلسطين إثر وعد بلفور.

اعتمدت الكاتبةُ طريقة رسم الشخصيّات بأسلوب لطيف جدّاً، فقد أضفت عليها ملامح جذّابة، استطاعت من خلالها كسب اهتمام المتلقّي؛ بإحضار صور مليئة بالجمال، مفعمة بالحيويّة، كذلك سردت الأحداث بأسلوب تعبيريّ حركيّ، جعلت من المشاهد كأنها تُعرض أمام القارئ مباشرةً، خاصة أنَّ الكاتبة كانت تقوم بوصف ملامح الشخصيّات بحِرْفيّة المبدع الكاتب الفنّان.

شخصية يارا رسمتها الكاتبة بعناية فائقة، فتاة جميلة جذّابة، ذات طباع هادئة، ودودة ومحبّة، تكسب قلوب من حولها ببساطة، أحبّها ربيع النورس، وكذلك أحبّته، نقتطف: «عندما استدارت يارا الغريب، تموّج شعرها الأشقر الطويل مع أشعة الشمس الصحراويّة، أطالت شعرها نزولاً عن كتفيها بنعومةٍ على قوامها...» ص48.

أمّا شخصية «النوخذة خليفة الحبيب»، فهو تاجر لؤلؤ كبير، فرّ عبر البحر من «جزيرة أمّ النار» إلى شاطئ سلطنة عمان؛ بسبب الدَّيْنِ الذي كان عليه لأحد تجار الهند، وقد كان بداية خيط عملت عليه الكاتبة في تقدّم الأحداث، ولكن تلاشى هذا الخيط سريعاً بموت «نبوخذة» على الطريق، ثم انقطع الخيط بشكل تامّ، إلّا أنّه ترك خلفه شخصيّة «السومري» الذي كان له نصيب وافر في تحريك خيوط الرواية.

كذلك رسمت الكاتبة أجواء خاصة لشخصيّة «عاهد الغريب»، بريشة لطيفة ممتلئة رقّةً وجمالاً، عند زيارته لأول مرة منزل صديقه المصوّر أسعد الشرع وزوجته سميرة الزاجي، نقتطف: «سحبَ من غليونه نَفَساً، لحظة رأى لمحات خاطفة من ملامح وجه سميرة الزاجي من خلف الدخان المنطلق من صدره نحو الهواء، ذلك الوجه الذي لن يُفارقه طوال سنوات عمره، وسيبقى يسترجع ذكرى تلك الأمسية في نفسه، ويتلمّظ أنوثة سميرة الزاجي...»ص30.

أمّا شخصيّة «السومري» الذي سرق بعض القطع الأثريّة من موقع الآثار الكائن في جزيرة أمّ النار، فقد أسندت إليه الكاتبة موضوعات المصائب كلّها التي حلّت بعدد من شخصيّات الرواية، فقد قام بضرب سليم وربيع ونبيل عندما دخلوا خيمته، ولما انتقموا منه بالضرب وربطوه إلى جذع الشجرة، حلّت عليهم لعنته بسبب الحصان الخشبيّ الصغير الذي نحته له جدّه من شجرة مسحورة. فربيع قد سقط من قرص الدوارة التي في وسط الحديقة العامة، ونُقل على إثرها إلى المشفى، أمّا سليم فقد مات بعدها بأشهر عدة إثر مرض عضال، كذلك انتحرت حبيبته علياء من أجله.

وعندما ذهب ربيع ونبيل للاعتذار من «السومري»، وطلبا منه الاعتراف بمكان وجود يارا التي كانت مختفية، وعدهما بذلك مقابل أن يُقدّما له القطة «سونيا» التي أنقذت ربيعاً من الموت عندما سقط في الحديقة العامة، فعمد «السومري» إلى قتل القطّة أمامهما، ولم يعترف بمكان وجود يارا، ممّا يوحي بالسلبيّة التي غلّفت الشخصيّة، دون وجود خلفيّات تبرّر ذلك.

من الملاحظ أنَّ موضوع السِّحر الذي اشتغلت عليه الكاتبة بخصوص الحصان المسحور الذي بحوزة «السومري»، لم تأتِ نتائجه كما يتوقّع المتلقّي من مفاعيل السِّحر، بل جاءت حسب مجريات الحياة الطبيعيّة، فليس غريباً أن يسقط ربيع من على قرص الدوارة، أو يموت سليم، أو تنتحر علياء، وغير ذلك من الأحداث الواقعيّة، وكذلك لعنة السومري، من المفترض أن تأتي مباشرةً، وليس بعد أشهر عدة.

شخصية سميرة الزاجي رسَمَتْ حولها الكاتبة العديد من الخطوط الزاهية، جسّدت من خلالها جمال ملامحها، ورقّة تصرّفاتها، ولطف حركاتها، فبدت امرأة مكتملة الأوصاف، راقية، كما انعكست تربيتها وطباعها الهادئة على ابنتها يارا.

شخصيّة ربيع النورس جسّدت حالة الحبّ العميقة للفتاة يارا، فجاءت الشخصيّةُ مفعمةً بالعاطفة والعقلانيّة، فلمّا

انتقلت يارا مع عائلتها إلى بيتهم الجديد، أحضر ربيع إلى والدها العديد من القطع الأثريّة التي جلبها من خيمة السومري؛ لتكون حُجّة لرؤية يارا، فالسومري كان قد سرقها من الموقع الأثريّ الذي كان يعمل فيه والدها، ولكن الأحداث جرت دون أن تُبرّر للسومري فعلته، وما الغاية من ذلك.

ربيع النورس الذي تعرّض إلى صدمات عدة، كان أصعبها زواج حبيبته يارا بالجاسوس «إبراهيم الخاتم»، بضغط من والدها تحت حُجّة أنَّ إبراهيم يملك جواز سفر، أما ربيع فليس لديه سوى وثيقة مؤقتة.

شخصية أريج الفتاة المُجدّة التي كانت المدرسةُ والمطالعةُ من أولويات اهتماماتها، وغير آبهة بمسائل الحبّ والغرام، إلّا أنّها وقعت في حبّ «مشعل العلي»، الذي التقته عندما كانت بصحبة عائلتها في زيارة إلى الكويت، وبعد مرور أزمة اجتياح العراق للكويت، هاجرت أسرة مشعل إلى «أبو ظبي»، حيث كانت تُقيم أريج مع عائلتها، وفي النهاية تزوّجت من ابن خالتها عنوةً، وعانت معه الكثير من المتاعب.

بُنيت الرواية على إقامة علاقات حبّ متشابكة، وبطرق لطيفة، جرت بعفويّة ورومانسيّة، فامتزجت بالفرح والألم، والخيبة والانكسار، وسارت الأحداثُ مسترسلةً متجنّبةً الإقحامَ والمغالاةَ، فجاء عنوان الرواية «قلوب من نار» مناسباً لمقتضى الحال، خاصة أنّه رُفِد باسم الجزيرة التي وقعت فيها الأحداث بشكل خاصّ في إمارة «أبو ظبي»، جزيرة «أمّ النار».

ونلاحظ أنّه غالباً ما انتهت تلك العلاقات بطرق مؤسفة، فسميرة الزاجي أحبّت «أسعد الشرع»، وبعد أن تزوّجته بسنوات عدة مات، أمّا علياء التي كانت تحبّ سليماً، فقد انتحرت؛ لأنّه مات إثر مرض عضال، أما ربيع فقد حُرِمَ من حبيبته يارا أيضاً، وبعدها تزوّج بالممرضة كريستينا التي ماتت مع جنينها إثر مرض خبيث، واستمرّت مأساة ربيع في الحبّ، فظهرت له امرأة تُدعى نرجس؛ لتُفاجئ الكاتبة المتلقّي بأنّه لم يعرفها؛ بسبب تغيّر ملامح وجهها، فنرجس هي يارا التي رشّها زوجها بمادة كيماويّة على وجهها فشوّهته، وتنتهي حكايتهما بأخذ الزوج إلى السجن، وبزواج ربيع من يارا.

يظهر البعد التاريخيّ بقوة في مفاصل الرواية، فقد اشتغلت عليه الكاتبة، مُسايرةً بذلك الأحداث الهامّة التي جرت في فلسطين خاصة، وأدّت إلى مغادرة كثير من الناس باتجاه «أبو ظبي»؛ لأسباب بعضها اقتصاديّة، أو حسب الظروف التي مرّت بها الشخصيات.

وتابعت الكاتبة مسايرة الأحداث السياسية إلى جانب الأحداث المجتمعيّة بشكل عفويّ منسجم منذ نكبة فلسطين، مروراً باجتياح الكويت من قبل العراق، وصولاً إلى أحداث تفجير البرجينِ التجاريّينِ العالميّينِ في أمريكا.

لقد سلكت الرواية خطّاً متموّجاً في التشويق، بدأتها الكاتبة بموجة مرتفعة نسبيّاً، ثم سارت في خطّ منحدر قليلاً؛ ليرتفع منسوب التشويق إلى قمّته في الوسط، لكنّه يعود للانحدار بقوة عندما يُقارب الخاتمة، ومن ثمّ يرتفع في موجة الخاتمة تماماً. كذلك من اللافت استحضار العديد من الشخصيّات من بلدان عربيّة مختلفة، من فلسطين، وسورية، ولبنان، ومصر، وغيرها، وكلّهم من أصول فلسطينيّة، جمعتهم الظروف للالتقاء في جزيرة «أمّ النار» بشكل خاصّ.

من الاتجاهات المهمة في الرواية، لفت نظر المتلقّي إلى أهمية وجود الآثار في جزيرة أمّ النار في أبو ظبي، حيث كان يعمل «عاهد الغريب» مع بعض البعثات في التنقيب عن الآثار، إلّا أنَّ هذا الموضوع بقي غامضاً نسبيّاً، وكذلك لم يتّضح السبب الذي دفع السومري لسرقة بعض قطع الآثار والاحتفاظ بها في خيمته.

الروايةُ بالمجمل جاءت حالةً توثيقيّةً للأحداث الواقعيّة التي جرت بين دولتي فلسطين وأبو ظبي، وذلك بأسلوب سهل وممتع وجميل، تتخلّلها الأجواء الرومانسيّة حتى في أصعب المواقف.

# جائحة الكتابة

عبير الديب

**«يجبُ أن يتجاوز الإنسانُ متناول قبضته، وإلّا ما الهدف من وجود السماء».**

(روبرت براوننغ 1812 – 1889)

يُحيلنا هذا القول للشاعر والكاتب المسرحيّ الإنكليزي «روبرت براوننغ»، إلى ما يجب أن تكون عليه الكتابة الإبداعيّة، فما النفع في أن يُجسّد الكاتبُ الواقعَ، ويُعيد اجتراره كما هو على الورق؛ ليبعثه من جديد بذات الملامح والشخوص والأسماء، هنا نكون أمام كتابة وثائقيّة – رغم أهميّتها – تبقى بعيدةً كلّ البعد عن مسارات الكتابة الإبداعيّة التي تخلُقُ عوالم موازية للواقع، وتُفسح المجال للقارئ في أن يُحلّق من خلال أجنحة المبدع في تلك العوالم.

لكنّنا في عصر الجائحة على الكثير من الصُّعد والمستويات، فمن الجائحة البيولوجيّة التي شهدها الكوكب، وما زالت آثارها مستمرّة حتى الآن، إلى الجوائح النفسيّة التي خلّفتها النزاعات والحروب في المنطقة، وأخفتها جدران

روبرت براوننغ

البيوت وأسقفها، إلى ظاهرة الهبوط في الموسيقى والأغنيات الرائجة حالياً في الشارع، والتي أعتبرها جائحةً بسبب تفشّيها وانتشارها كتلوّث صوتيّ دون ضابط أو معيار، إلى الكثير الكثير من الأمراض والمشاكل التي باتت تأخذ شكل الجائحة، لكن أن يصل الأمر إلى الكتابة، فهذا ما لم يكن في الحُسبان.

### آفة البلاغة

في كتابه «دفاع عن البلاغة» يقول أحمد حسن الزيات: «**آفة الفنّ الكتابيّ أن يتعاطاه من لم يتهيّأ له بطبعه، ولم يستعن عليه بأداته، وأكثر المُزاولين اليوم لصناعة القلم مُتطفّلون عليها، أغراهم بها رخص المِداد، وسهولة النشر، وإغضاء النقد، فأقبلوا يتملّقون بها الشهرة، أو يزجّون بها الفراغ، وكلّ جهازهم لها ثقافة ضحلة، وقريحة محلة، ومحاكاة رقميّة**».

وبحكم عملي في التدقيق اللغويّ والتحرير، مع العديد من الوكالات الأدبيّة، ودور النشر العربية، بتُّ أرى أنَّ الكل يريد أن يصبح كاتباً روائيّاً، أو مؤلّفاً، أو شاعراً، أو ناقداً، أو ما إلى هنالك من هذه الألقاب الإبداعيّة، التي يحتاج الوصول إلى ساحلها الكثير من الجهد والعمل، والإلمام الثقافيّ، وغنى الحافظة الذاتيّة بأكبر قَدْرٍ من القراءات المتنوّعة في شتّى المجالات، فماذا عن خوض غمارها دون أيّ من تلك الأدوات.

وإن كانت «العدّة تلتين المعلمية» على حد تعبير أهل الشام، فما هي عدّة المُبدع التي يحتاجها ليقدّم مادّةً ذات قيمة، وأثر على القرّاء؟

### آلة البلاغة

إنَّ ما يمرّ عليّ من محتويات في المخطوطات التي أعمل عليها، جدير بأن يُخرِّب ذائقة أيّ قارئ مع الوقت، وهذا أخطر ما أراه في الأمر؛ لأنَّ الاستسهال الذي وصل إليه البعض، بات ظاهرةً مُلفتةً لا ضابط لها ولا ميزان، فما الذي جعل هذا الاستسهال سمة شبه عامة عند الكثير ممّن يحاولون الكتابة هذه الأيام؟ وما الذي يحتاج الكاتب للتزوّد به؛ لينتجَ مادّةً مشعّةً تمنح القارئ طاقة فكريّة هي هدفه من القراءة؟

وللإجابة على السؤال أعلاه علينا أن نتتبّع خطّ الكتابة والنشر رجوعاً، ففي الماضي – وعلى ما يحكي لنا كبار كتّابنا وأدبائنا من أبناء جيل النضال في هذا المجال – كان الكاتب أو الشاعر يعاني الأمرّين من أجل نشر قصيدة أو قصة أو رواية، وقد يضطرّ لمراجعة الجريدة أو دار النشر التي أرسل مخطوطه إليها – بالبريد أو باليد في أغلب الأحيان – يضطرّ إلى أن يراجعها عشرات المرات قبل أن يحصل على موافقة وموعد مؤكّد لنشر مادّته، فهي تمرّ على قرّاء يتمتّعون بذائقة عالية، تجعل منهم حكّاماً صارمين، لا يمكن أن يقبلوا بأيّ عمل لمجرّد أنّهم يعرفون اسم صاحبه عبر تزكية ما، كما يحدث الآن، فتزايد عدد دور النشر الحديثة، وسهولة الوصول إليها لمن يملك ثمن الطباعة، يُعتبر من أهمّ أسباب هذا الكمّ الهائل من الكتب ذات المحتوى الضّحل.

وفي أغلب الأحيان يكون الواصلون أشخاصاً يملكون كلّ شيء، ولم تبقَ في نفسهم رغبة يتمنّون تحقيقها، فتراهم يقرؤون إحدى الروايات التجاريّة مصادفةً؛ لتلمعَ في رأسهم فكرة أنّهم مثقّفون قادرون على الإتيان بمثلها، وكلّ شخص – بحسب بعض الدراسات النفسيّة – يَعتبر أنَّ قصة حياته جديرة بأن تكون رواية أو فيلماً سينمائيّاً حتى، وربما يكون هذا صحيحاً، لكنَّه يحتاج إلى الكثير من الأدوات التي يجب على الكاتب بناؤها رويداً رويداً، لا ابتياعها على الأرصفة والمقاهي الثقافيّة.

فلا يكفي إطلاق اللحية، وارتداء النظّارات الطبّيّة، والقبعة المصنوعة من الجوخ، واحتساء القهوة من دون سكّر ليصبحَ الإنسان أديباً. ثمّ إنّه وبسبب المنصّات الإلكترونيّة التي يكثر فيها المصفّقون لأمثال هؤلاء «الكتّاب»، واختلاط الحابل بالنابل، والغثّ بالسمين على المنابر الرسميّة والأهليّة، وبات الأمر مثيراً للسخرية.

وبحسب الزيّات «**فإنَّ آلة البلاغة الطبع الموهوب، والعلم المُكتسَب**»، فامتلاك الذهن الثاقب، والخيال الخصب، والعاطفة القويّة، والأذن الموسيقيّة، من أهمّ عوامل تكوّن أيّ جنين إبداعيّ داخل الإنسان، لكنّها لا تكفي وحدها إن

لـم يُلقّحهـا الكاتـب «بالعلـم المُكتسَـب»، فتغذيـة الطبـع الموهـوب بألـوان المعرفـة المختلفـة كفيلـةٌ بـألّا يدركـه الجفـاف، أو يعتريهـا الذبـول، ومعـارف الكاتـب هـي منابـع إنتاجـه، التي توسّـع مداركه، وقاموسـه الشـخصيّ، وتجعلـه قـادراً علـى خلـق علاقـات جديـدة بـين المفـردات، فمـن دون التـزوّد الدائـم بالعلـوم والمعـارف، يغـدو الكاتـب مجـرّد «**سـارد ألفـاظ، مقطّـع جمـل**». والقـول للزيـات.

وهنـا أذكـر أيضـاً قـولاً للكاتـب والروائـيّ الأردنـيّ جـلال برجـس، يعبّـر فيـه عـن رؤيتـه لطبيعـة العمـل في الكتابـة، إذ يقـول: «**الكتابـة الجـادّة مهمـة موجِعـة، ربمـا تسـاوي ألـم الـولادة، لكنّهـا تؤدّي إلـى شـمس جديـدة، أمـا الكتابـة المُستسـهلة فهـي مـرور نيـزك ليـس إلّا**». ويبقـى السـؤال المُلّـح: أيـن هـذا الوجـع الـذي تبـزغ منـه الشـمس في مـا نقـرأ ونسـمع اليـوم؟

### العشوائيّات الأدبيّة

وكمـا أنَّ عشـوائيّات المـدن تُعتبـر تشـويهاً لمفهـوم المَدنيّـة، كذلك عشـوائيّات الأدب هـي تشـويه للمفاهيـم الأدبيّـة، فـأن يسـافر شـخص مـا في سـياحة إلـى أوروبـا، ثـم يعـود إلـى بـلاده بذكـرى أسـعدته، لـم يعـد يكتفـي بالصـور الفوتوغرافيّـة ومقاطـع الفيديـو التـي توثّـق رحلتـه تلـك، بـل أصبـح يريـد أن يكتـب روايـة! نعـم يـا سـادة روايـة عـن ذلـك الأسـبوع، وعمّـن التقـى بهـم خلالـه، وعـن الجـولات التـي حظـي بهـا في المتاحـف والمطاعـم، وعـن صبيّـة ربمـا قابلهـا مصادفـةً هنـاك، فأحبّهـا دون أن يبـوح لهـا بحبّـه، لكنّـه قـرّر أن يُخلّـد ذكراهـا بروايـة.

روايـة يُلقيهـا في وجـه القـرّاء دون حبكـة، أو أزمـة، أو بنـاء شـخصيات ومسـرح تتجـول عليـه تلـك الشـخصيات، مجـرّد حـوار ركيـك متواصـل، ومشـاهد يوميّـة بسـيطة لا ترقـى لأن يقصّهـا جـارٌ علـى جـاره في جلسـة سَـمر، فإذ بهـا تصبـح روايـة، ناهيـك عـن الأخطـاء اللغويّـة التـي قـد تتجـاوز خمسـة أخطـاء في السّـطر الواحـد، ويريـد صاحبنـا أن يطبعهـا وينشـرها، معتـدّاً بمحتواهـا ومسـتواها، غيـر راغـب في أيّ تعديـل عليهـا مـن أصحـاب الاختصـاص، تعديـل قـد ينقـذ قارئـاً مـا مـن بلادتهـا، لـو أعجبـه غلافهـا مصادفـةً، وتـورّط بشـرائها مـن أحـد المعـارض.

فكيـف يسـتقيم لأيّ فـرد كان أن يدّعـي كتابـة روايـة، وهـو لـم يقـرأ ديستويفسـكي، وتولسـتوي، وهمنغـوي، وهوغـو، ونجيـب محفـوظ، والطيـب صالـح، مـروراً بكونديـرا، وهيسـه، وسـاراماغو، وموروكامـي، وغـادة السـمان، وصـولاً إلـى إليندي، وعبـد الرحمـن منيـف، وعبـده خـال، وكويلـو، والكثيريـن غيرهـم مـن أربـاب الإبـداع في المجـال الـذي اختـاره.

ثـمّ تأتيـك صبيّـة كانـت تعيـش قصـة عاطفيّـة مـع أحدهـم، فتُصـدّع رؤوسـنا بلحظاتهمـا الغاليـة، وعواطفهمـا الجيّاشـة، وتكتـب ديوانـاً شـعريّاً، لا ينتمـي إلـى أيّ جنـس مـن أجنـاس الشـعر أو النثـر في قاسـم أو صفـة، بجمـل مكـرّرة منسـوخة من هنـا وهنـاك، مجمّعـة كمـا «فرانكشـتاين»، لكنّهـا – وللأمانـة – لا تنسـى القافيـة في نهايـة كلّ جملـة، وتريـد نشـر الديـوان والحصـول علـى لقـب شـاعرة.

ثـم يهجرهـا الحبيـب فتُسـطّر ديوانـاً آخـر عـن آلام الغـدر والخيانـة، وأوجـاع السـهر بصحبـة الدّمـوع والشّـموع، والمناشـدات التـي تذكّـر الحبيـب الهاجِـر بشـرف الخصومـة، ووجـوب حفـظ أسـرار مـا كان بينهمـا. وفي النهايـة يتضمّـن الديـوان فصـلاً مـن النصائـح، التـي قـد يعتـرض عليهـا كُتّـاب التنميـة البشـريّة؛ لأنّهـا تنـدرج ضمـن اختصاصهـم، فصديقتنـا العاشـقة المهجـورة تمنحهـا مـن صفـات القطعيّـة مـا يفـوق الوصايـا العشـر.

كلّ هـذا الكمّ مـن العشـوائيّة في محتويـات المخطوطـات التـي تصلنـي؛ لتذهـب بعـد الأعمـال الجراحيّـة التجميليّـة – غيـر المُجديـة في كثيـر مـن الأحيـان – إلـى دور نشـر لـم يعـد النـوع يعنيهـا، وإنّمـا الكَمّ ومـا تجنيـه مـن أربـاح، دفعهـا صاحـب العمـل ظنّـاً منـه أنّـه يدفـع ثمـن لقـب كاتـب أو شـاعر، وتنتهـي في مـا بعـد إلـى رفـوف معـارض الكتـب كتحصيـل حاصـل.

كلّ هـذا بـات يرسـم أمامنـا الكثيـر مـن إشـارات الاسـتفهام حـول الضوابـط والأطـر التـي يجـب علـى الجهـات الثقافيّـة الرسـميّة في بلادنـا العربيّـة، فرضهـا بصرامـة أكبـر؛ لأنَّ مجـرّد منـح تلـك الأعمـال موافقـة نشـر، هـو اعتـراف بأهليّـة كاتبهـا، الـذي ينفخـه الغـرور قبـل الحصـول علـى الموافقـة، ولكـم أن تتخيّلـوا الحـال بعدهـا، وهـو أيضـاً تسـويق غيـر محسـوب لضحالـة، جـلّ مـا أتمنـاه ألّا تصـل مياههـا الآسـنة إلـى رفـوف المكتبـات والمعـارض الأدبيّـة.

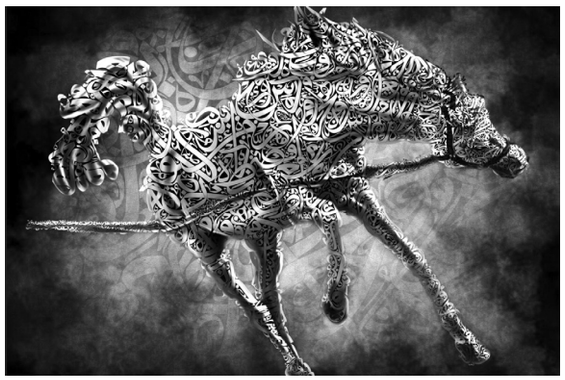

# واقع القراءة الشبابيّة في العالَـم العربيّ الإسلاميّ

**هشام أزكيض**

من بين الإشكاليّات الثقافيّة المُلحّة في العالَم العربيّ، يبرز واقع القراءة بين الواقع والمأمول، نعني علاقة الشباب بالمُنجزات الإبداعيّة على اختلاف أجناسها، من الرواية إلى القصة، فالشعر، فالمسرح، مستندين إلى السؤال الكبير: هل يقرأ الشباب العربيّ اليوم؟ وماذا يقرأ؟ وما هو تأثير الثورة الرقميّة (الفايسبوك وغيره) على قراءاته ونوعيّتها.

بهذا التصوّر كانت لنا هذه المحطّة من الحوارات التي أردناها تجاوزاً عن مجرد عمل استطلاعيّ إلى فعل ثقافيّ مؤثِّر ومحفّز للنهوض بواقع القراءة في عالمنا العربي، إلى ما هو أفضل وأجدى لأمتنا العربيّة.

منذ البداية، يُعيد الكاتب والقاصّ المصريّ عادل عطية تكرار المقولة الشهيرة: «أمة اقرأ لا تقرأ»، ويؤكّد أنَّ «الشباب لم يعد له قابليّة للقراءة؛ لأنَّ وسائل التواصل الاجتماعيّ قضت على البقية الباقية من شغف القراءة، وبعضهم يميل الى قراءة الأدب في صورته الومضيّة، كالقصة القصيرة جدّاً، أو الهايكو، وإذا قرؤوا بقية الأجناس الأدبيّة الأخرى، فليس لديهم الاستعداد للاجتهاد في سبر أغوار النّصّ، وإذا أصبحت القراءة كالماء والهواء، لأُمكن للشباب المثقّف توصيل رسالته لتنمية الوعي المجتمعيّ، أما التفاعل الرقميّ، فقد أفرز أسلوباً جديداً للمتلقّي، يتمركز على الإيجاز والتشويق».

أمّا القاصّ العراقيّ علي السباعي، فينظر إلى القراءة كأزمة ثقافيّة متفاقمة، «فكثير من الشبّان اليوم لا يقرؤون، وهذا يدلّ أنَّ ثمّة «أُمّيّة» من نوع آخر متفشّية في أوساطهم، تعني أنّنا أمام جيل غير مثقف».

وهو يعتبر «أنَّ ما يكتبونه من كتابات صادقة وشجاعة، بإمكانها إنقاذ عالمنا العربي». مضيفاً أنّ «الأدب الرقميّ أصبح هو أدب المستقبل، حيث حلّ النشر الإلكترونيّ أزمة القراءة لدى الشّبّان؛ لأنَّه أسهم وسيُسهم في توفير الكتاب لهم دون كلفةٍ تُذكر».

ومن سورية تؤكّد الشاعرة فائزة القادري أنَّ «واقع المطالعة بشكلٍ مُرضٍ أو أقلّ من المُرضي، وهذه نسبة قليلة، الشباب يميلون إلى قراءة الرواية، ثم القصص، ثم الشعر، كما أنَّ المجتمع في حاجة إلى تنمية يقودها تفكير شبابيّ متجدّد، لكنَّ الشباب العربيّ مُحاط بكثير من الإعاقات والظروف القاسية التي تبعدهم عن ميادين التنمية، وتفقدهم الأدوات الحقيقيّة لذلك». وعن الأدب الرقميّ، فتقول إنَّه «ساحة خلّاقة رغم فوضويّتها، لن نسمّيها يقظة، إنّما هي تسيير الذائقة الأدبيّة نحو منحى معيّن».

الكاتب السعودي عبد العزيز المزيني يعتبر أنَّ «علاقة شباب اليوم بالكتاب والأدب ليست على ما يرام، كما أنَّ هناك خللاً كبيراً عند الطلاب في المدارس عن مفهوم الكتاب، وماهيّته، وقيمته، ونحن نشهد تراجعاً ملموساً في دور الجامعات من ناحية العودة بالطلاب إلى الكتب، مع اختفاء الأدوار الثانويّة والأنشطة الطلابيّة المتعدّدة، ومن ضمنها القراءة».

بهذا المستوى تنظر الكاتبة الأردنيّة صفاء الحطاب إلى أنَّ «معظم شباب اليوم لا يُقبل على القراءة، لكنَّه يميل لقراءة الأدب الروائيّ تحديداً، والاهتمام بالشعر، وإن كان ذلك بنسبة أقلّ». وتعتبر الحطاب أنَّه «من الصعب تحقيق الإسهام في تنمية المجتمع في ظلّ الظروف الراهنة، كما أنَّ الفضاء الأزرق يقدّم للشباب المُقبِلِ عليه وجبات خالية من الدسم الفكريّ والثقافيّ».

ومن مصر تؤكّد الدكتورة الناقدة حنان الشرنوبي أنَّ «للشباب العربيّ دوراً كبيراً في تنمية المجتمع؛ لما فيه من طموح ورغبة في الإصلاح. ويختلف أديب اليوم عن أديب الأمس؛ نظرًا لاختلاف الأجيال والثقافات ووسائل التكنولوجيا، ولذلك نلاحظ نمو الوعي لدى شباب اليوم عبر منصات التواصل الاجتماعيّ، التي أيقظت فيهم روح الإبداع، نقدًا وأدبًا».

أمّا الكاتبة السوريّة سلوى عباس، فتبدو متشائمة، «ففي ظلّ الظروف التي نعيشها الآن، نرى تراجعاً في مجال القراءة، ويؤسفني القول إنَّ غالبيّة شبابنا يكتفون في تعاطيهم مع الكتابة بالشعر أو النصوص القصيرة، بعيداً عن الخوض في الرواية، إلّا أنَّ الأثر الأقوى والأهمّ، هو الذي تتركه الموضوعات التي يتناولها الكاتب في أعماله، ما يؤكّد فاعليّة الكتابة وجدوى إدراك الكاتب لمهمّته، وإيمانه بدوره تجاه مجتمعه».

وإلى الشاعر الفلسطينيّ نزار أبو ناصر، الذي يرى مشهد القراءة مُتراجعاً، «إلّا من بعض التعالقات مع الرواية الحديثة والمُترجَمة مع تأخّر الشِّعر عنها. وسائل التواصل شكّلت تعاملاً رئيسيّاً في ظهور كتّاب جُدد، ومدوّنات شخصيّة، وبرامج دردشة، ويبقى التحدّي الأكبر في مواجهة الاستسهال والتسطيح بجميع أنواعه».

أمّا غادة فؤاد السمّان، الكاتبة والشاعرة السوريّة، فتستشكل مسألة القراءة برؤية خاصة، ترى أنَّ «الفرد العربيّ يقرأ ربما أكثر من أيّ قارئ آخر في العالم، ولكن ينقصه المنهجيّة والتخصصيّة في تحديد مجال اهتماماته،

ومن المؤكّد أنَّ الشباب العربيّ يُساهم في تنمية المجتمع من نواحٍ مختلفة، ولكن للأسف الظروف غير ملائمة نهائياً، والعوائق أكثر من أن تُحصى مع شيوع النت، وتجرّؤ الجميع على فعل الكتابة كوسيلة تعبير متاحة».

الكاتب الأردنيّ موسى إبراهيم أبو رياش، يشير إلى أنَّ «القراءة في العالم العربيّ ليست أولويّة أو ضرورة، إلّا عند نسبة ضئيلة تقرأ الرواية، ثم القصة والشعر، وقليل من يلتفت إلى الكتب الفكريّة والفلسفيّة والدينيّة». وهو يُقِرّ بأنَّ «الشباب قادر على توعية المجتمع من خلال نوعيّة ما يكتب، لكن ما يُنشر من أدب رقميّ لم يسهم في اليقظة، ومع ذلك، فإنَّ منصات التواصل لا تخلو من مبدعين حقيقيين».

أمّا الشاعر محمد مصطفى خميس، فينظر إلى وجود أزمة حادّة مع القراءة في العالم العربيّ، «قليلون هم الذين يقرؤون، والنخبة هم الذين يميلون إلى قراءة الأدب، والرواية هي المرغوبة، والشعر ليس له سوق رائجة الآن إلّا لدى النخبة. أما اليقظة الحقيقيّة فتكون في استيعاب التراث وفهمه، وحفظ ما يلزم، وهذا ما لا يُتيحه الأدب الرقميّ إلّا بنسب لا تُعين على تحقيق الغاية».

الكاتب والفنّان العراقي علي إبراهيم الدليمي يتأسّف؛ لأنَّ «هنالك اليوم 5% ما زالوا متمسّكين بقراءة الأدب في الرواية، أو القصة القصيرة، أو الشعر الحرّ حصراً. الشباب العربيّ قادر على الإسهام بوعي المجتمع، شرط أن يكون خلفَهُ دعمٌ رسميٌّ، أو من منظّمات المجتمع المدنيّ، كما أنَّ تفاعله مع الأدب الرقميّ (الفيسبوك)، أسهم في يقظة الأدب نوعاً ما؛ لأنّنا نعيش عالم السرعة في كلّ شيء».

ويتشاءم الكاتب التونسيّ عبد العزيز الهمّامي، فيقرّر أنّنا «نحن اليوم أمام جيل جديد معظمه لا يقرأ! ولكنّنا نجد شريحةً واسعةً ممّن يهتمّون بالأدب، كالقصة والرواية والشعر، أغلبهم من أبناء المدارس والجامعات، الّذين يتفاعلون اليوم للعمل على تنمية الوعي الجماعيّ، ولعلّ الشّبكة العنكبوتيّة قد وفّرت لنا سبل التعرّف على مدى أهمّيّة تسويق هذا الرّصيد الثقافيّ الكبير، الذي نأمل أن يستلهم منه شبابنا العبرة بالإقبال على القراءة».

أمّا الكاتب المصري منير عتيبة، فينظر إلى المسألة بتفاؤلٍ! إذ «تزايدت معدلات القراءة في السنوات الأخيرة، الورقيّة أو الإلكترونيّة، وهناك ميلٌ شبابيٌّ إلى قراءة الرواية وأدب الرحلات». ويرى عتيبة أنَّ الشباب العربيّ «يُسهم بالطبع في تنمية المجتمع، فمجتمعاتنا أكثرها من الشباب، ولديهم طاقات عديدة وفعّالة، أمّا الأدب الرقميّ (الفايسبوك)، فقد أثّر على معدلات القراءة، وتنوّع مصادر المعرفة والإبداع بأشكاله المختلفة».

أمّا الكاتبة والقاصّة العُمانيّة عائشة بنت جمعة الفارسيّة، فتُركّز على «الثورة المعلوماتيّة التي فرضت نفسها على القراءة، وأصبحت القراءات السريعة أكثر انتشاراً، وباعتقادي فإنَّ القصص والروايات تسيطر على الانتشار الإعلاميّ، ولا شكّ أنَّ الشباب العربيّ قادر على الوصول إلى تنقية وتصفية العقول بالطريقة الصحيحة؛ من خلال انتقاء الأدب الراقي، وإدارة دفّة توظيف المواقع الإلكترونية المتنوّعة».

ويُنبّه الكاتب أنوار الشمالي إلى خطر انحسار القراءة، «والعمل على نشر عادة القراءة، في ظلّ الاكتفاء بالقراءة عن شاشة الجوّال وللأسف. أمّا الأدب فالميل محدود إليه مع تفضيل الروايات، لا سيما المُترجَمة». ويرى الشمالي «أنَّ الشباب قادر على تنمية المجتمع في حال توافرت الظروف، وأنَّ الأدب الرقميّ أسهم في انتشار الأدب، إنّما بشكل محدود على حساب النص الجيّد».

أمّـا الباحثـة المغربيّـة في تحليـل الخطـاب المسـرحيّ كريمـة كربيطـو، فتُؤكّـد أنَّ الفعـل القرائـيّ غيـر واضـح، بـل ملتبـس؛ لأنَّـه يفتقـر إلـى دراسـات سوسـيولوجية تضعنـا ولـو إحصائيّـاً أمامـه. ومـن وجهـة نظرهـا، فـإنَّ واقـع القـراءة في العالـم العربـيّ غيـر واضـح السـمات؛ لأنَّ الإحصائيـات تـدلّ علـى ضعـف القـراءة في الوطـن العربـيّ، بينمـا المُتحقّـق هـو إقبـال مختلـف علـى قـراءة الكتـب، وخاصـة الكتـب الإلكترونيّـة، وطبيعـة هـذا الإقبـال، أصبحـت خاضعـة إلـى موضـة قرائيّـة تُعنـى بكتـب التنميـة الذاتيّـة، وتطويـر المهـارات الفرديّـة، مـا جعـل الفعـل القرائـيّ مقرونـاً بالجانـب النفعـيّ الـذي يخـدم أغراضـاً مِهْنيّـة بالخصـوص.

إنَّ اقتصـار الشـباب علـى هـذا النـوع مـن الكتـب، جعـل تفاعلـه مـع الأدب غيـرَ واضـحٍ ومبهمـاً في الآن ذاتـه، فالـكل يراهـن علـى الكتابـة، ويُقصـي البعـد القرائـيّ، وهـذا مـا انعكـس سـلباً علـى الـذوق الجمالـيّ السـائد، وهـو مـا حتّـم عـادات قرائيّـة جديـدة، فالـكلّ يكتـب، والـكلّ ينتظـر قارئـاً لكتاباتـه، بـل الأمـر تجـاوز إلـى الوصايـة القرائيّـة، مـن خـلال الاطّـلاع علـى المُلخّصـات أو الكتـب المسـموعة، وهـذا إشـكال متشـعّب، قـد يفتـح أفقـاً لمفهـوم انتفـاء القـراءة.

كلّ فعـل قرائـيّ مرهـون بوعـي، وهـذا الوعـي لـه مقاصـده، وإذا مـا اختلّـت هـذه القاعـدة، فـإنَّ الأمـر سـيضعنا أمـام مجتمـع يدّعـي القـراءة، وفي كلّ ادّعـاء، نفـي للوعـي، وللوظيفـة التـي مـن شـأنها أن تسـمو بـالأذواق والمشـاعر والمعـارف.

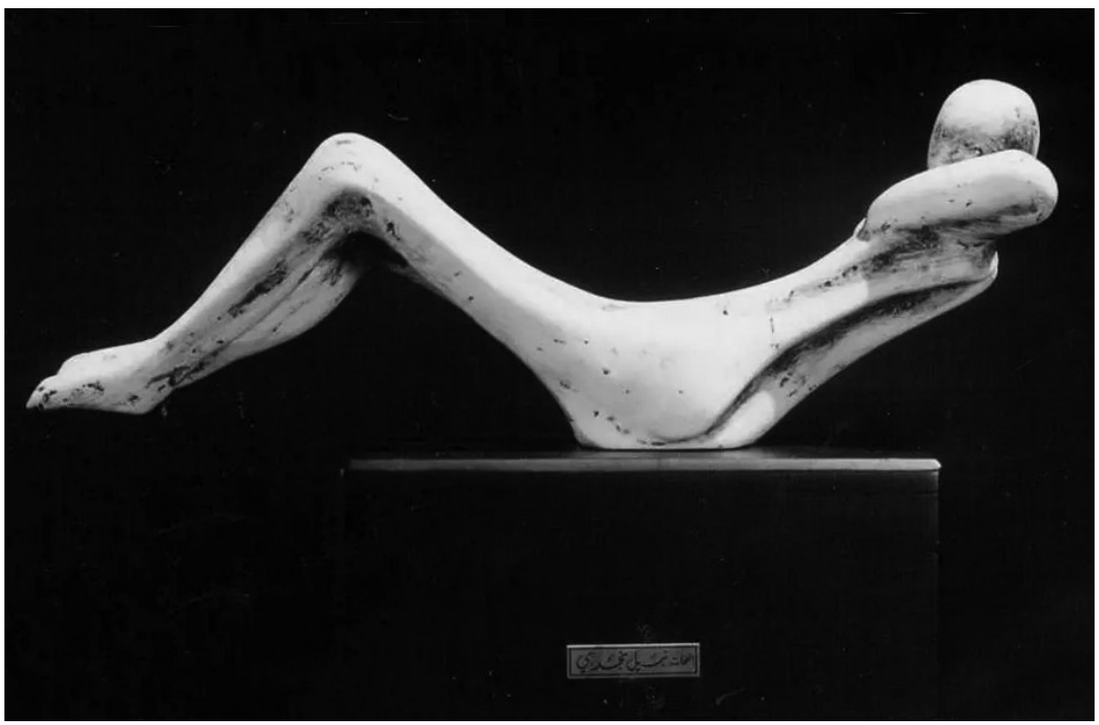

منحوتة الفنان نبيل نجدي/ السعودية

لوحة الفنان عصام البزور/ الأردن

## رواية «زغرودة الفنجان»

# من سجون الاحتلال: أساليب التلاعب النفسيّ لتجنيد العملاء

**أماندا أبو نحلة**

أتمّ الأسيرُ الفلَسْطينيّ حسام زهدي شاهين كتابة روايته «زغرودة الفنجان» عام 2013 من سجن جلبوع المركزيّ، حيث إنَّه مُعتقَلٌ في السجون الإسرائيليّة منذ عام 2004، ومحكوم عليه بالسجن مدة 27 عاماً.

تبدأ أحداث الرواية باعتراف مازن لصديقه عمر بأنَّه يعمل لصالح المخابرات الإسرائيليّة، فيقصّ كيفيّة تجنيده، والطرق التي اتّبعها هو نفسه لتجنيد عملاء آخرين، كما يطلب مازن من عمر مساعدته لاغتيال ضابط المخابرات الذي جنّده، والمدعوّ بالكابتن مودي.

عند التّمعُّن في اعتراف مازن، نجد أنَّ المخابرات الإسرائيليّة قد اتّبعَت إستراتيجيّةً معيّنةً لتجنيده، مُستخدمةً عدة أساليب تلاعب نفسيّ لتنال مرادها، ولا تدلّ هذه الأساليب إلّا على الفهم الإسرائيليّ العميق لطبيعة الشعب الفلسطينيّ، ونفسيّة وعقليّة أفراده، والتي تَمّ توظيفها لخدمة أهداف الاحتلال.

إذن ما هي أساليب التلاعب التي اتّبعتها المخابرات لتجنيد العملاء؟

**توظيف اللهجة الفلسطينيّة والأقوال الشعبيّة**

توجّه مازن يوماً ما إلى القدس باحثاً عن عمل؛ ليُعيل نفسه وزوجته الحامل، ولم يكن بحوزته تصريح مرور يُخوِّله الدخول للمدينة، فاضطرّ إلى سلوك طريق ترابيّة تلتفّ حول الحاجز العسكريّ عند مدخل القدس، فأمسكَتْ به قوةٌ من الجيش الإسرائيليّ، وأخذته إلى مركز الشرطة، وهناك التقى برجل شرطة ذي شقار ضارب على الحُمرة.

وعلى الرغم من أنَّه يبدو روسيّاً، إلّا أنّه بدأ الحديث بلهجة فلسطينيّة: «أنا بعرف منيح شو يعني إنّه الإنسان يكون عنده زوجة وأولاد، ومش عارف كيف يعيشهم، ولمّا فحصت ملفك ولقيت إنّه نظيف، قلت لحالي والله حرام شاب متلك يتبهدل هيك بهدلة، قلت لازم أساعدك وأجيبلك تصريح تشتغل عليه، وتجيب لعيلتك لقمة نظيفة يوكلوها آخر النهار، شو رأيك؟».

وأكمل الشرطيّ مشيراً إلى ضابط المخابرات الكابتن مودي: «في صديق إلي هو يللي بدو يساعدك، أنا بدي آخدك لعنده، وهناك بتتفاهم أنت وإياه، وهذي نصيحة ببلاش مش بمصاري، بتوفر عليك سجن ستة شهور، وانت حرّ، يا بتقبل النصيحة يا بترفضها، وأنا ما بتغيّر عليَّ إشي، أنت بتطلع من هان على السجن وأنا بظلّ محلي».

– «أنا موافق أشوف صاحبك، بشرط إذا ما اتفقناش تروحني ومنحبسش ولا يوم».

– «بوعدك إني أبذل لك كلّ جهدي على شان أطلعك من هالورطة، والباقي على همتك وعلى الله، الصراحة راحة، مش هيك بتقولوا عندكم؟ إذا حابب السوق إتسوق، وإذا مش حابب، بين الشاري والبايع يفتح الله».

– «خلص أنا ارتحت لك وبدي أجرّب».

– «منيح كثير، بوديك على غرفة لحالك، وبوديلك أكل، أكيد إنّك جوعان».

– «على لحم بطني من الصبح الله وكيلك».

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ اللغة الأولى هي لغة الشخص التي اكتسبها في طفولته من دون جهد، أما اللغة الثانية، فيتعلّمها بجهد وإدراك منه، وتُعَدّ اللغة الأولى مشحونة عاطفياً بسبب اكتساب المتحدّث إياها في الصغر من البيئة المحيطة، العائلة والأصدقاء، عن طريق العديد من السياقات، البيت، والمدرسة، والمسجد، وغيرها. إذن تضمّ اللغة الأولى – العربية على سبيل المثال – مخزوناً كثيفاً من العاطفة النابعة من التجارب الحياتيّة أثناء اكتسابها وممارستها.

ومن جهة أخرى، لا تضمّ اللغة الثانية – الإنجليزية مثالاً – ذات القدر من المشاعر، ما يجعلها الخيار المفضّل للأشخاص ثنائيي اللغة للتعبير عن مشاعر الحبّ، والغضب، والحزن،

وغيرها من الحالات العاطفيّة الحادة، إذ توفّر اللغة الثانية بُعداً عاطفيّاً بين المتحدّث وتجاربه، ما يسمح له بالتعبير عنها من دون حرج.

**ما علاقةُ هذا بتجنيد العملاء؟**

كان سيشعر مازن بالغرابة لو استخدم الشرطي الإسرائيليّ العبريّة في حديثه معه، إذ سيؤكّد اختلاف اللغة على اختلافاتهما، وتجلّيها كحواجز نفسيّة بينهما، كما سيركّز الضوء على حقيقة الاحتلال كجسد غريب في البلاد، ممّا سيباعد بين مازن والشرطيّ نفسيّاً، مُنفِّراً الفلسطينيّ منه.

ولتحقيق أثر معاكس، استخدم الشرطيُّ العربيّةَ (لغة مازن الأولى) للتقريب النفسيّ الوهميّ اللاواعي بينهما، حيث يربط مازن اللغة العربيّة بمشاعر الألفة والقرابة؛ نظراً لممارسته إياها عبر مختلف التجارب والمراحل العمريّة منذ اكتسابها.

وينطبق ذات الأمر على اللهجات، حيث يتعمّد الشرطيّ التحدّث باللهجة الفلسطينيّة لخلق جوٍّ مريحٍ واعتياديّةٍ لم يكن مازن ليشعرَ بها لو تحدّث معه بلهجة أخرى. هكذا لم يشعر مازن أنّه يخاطب عدوّاً، بل مجرّد فلسطينيّ آخر، خلافاً لما يدركه وعيه.

أمّا استخدام الأقوال الشعبيّة الفلسطينيّة، فإنَّه يخدم الهدف ذاته، إذ لن يتمكّن أحد من توظيفها في الحديث بشكل صحيح وطبيعيّ إلّا الفلسطينيّ، ونرى أثر ذلك على مازن عندما قال للشرطيّ في نهاية الحديث: «خلص أنا ارتحت لك». وبالرغم من فاعليّة هذا التوظيف اللغويّ، إلّا أنّ فاعليّته مقترنة بتهيئة الظروف المناسبة كما سنرى أدناه.

**تسليح الاحتياجات والنقص**

إنّ التقريب النفسيّ اللاواعي بين المتحدّثين ليس كافياً لتجنيد عميل، يجب أولاً تهيئة الظروف الملائمة التي تجعل من اختيار العمل مع المخابرات، يبدو كأنَّه الخيار الوحيد، وتتمثّل هذه «الظروف» في استهداف الشخص المناسب في الوقت المناسب.

وفي مثال «زغرودة الفنجان»، يعدّ مازن هدفاً مثاليّاً؛ نظراً لفقره والضائقة الماديّة التي باتَتْ تُهدّد تماسك عائلته، ولذلك عرضَ ضابط المخابرات عليه العمل معه مقابل الحصول على عمل ودخل ثابت، كما أكّد له أنّ المعلومات التي سيقدّمها «تافهة وبسيطة» مقارنةً بما يقدّمه العملاء الآخرون.

لكنَّ مازناً ليس الفقير الوحيد، فلماذا وقع الاختيار عليه؟

اختير مازن لشخصيّته، ودليل ذلك التالي: طلبَ الكابتن مودي منه التقرّب من فئات معينة بدواعي التجنيد، فنصحه قائلاً: «عليك البحث عن الشخصيات الضعيفة أصلاً، وليس عن الشخصيات القويّة صاحبة نقاط الضعف، اقتربْ من نوعين، وتجنَّبْ نوعين، اقترب من الطائش والمكبوت، وتجنّب الملتزم والمنفتح».

**إذن، هل مازن ذو شخصية ضعيفة؟**

أشار مازن إلى ضعفه أمام نفسه، عندما قال لعمر: «انغمستُ في حساب الملذّات والتسهيلات التي سأجنيها بعد مباشرتي بالعمل (مع المخابرات)، لن أقول إنَّني كنت ضحية خديعة ومكر كما جرت العادة؛ لتبرير مثل هذه الأعمال، فأنا كنت ضحيّة شرور نفسي ومطامعها».

**استغلال طبيعة الشعب الفلسطينيّ**

قال الكابتن مودي مرة لمازن: «المجتمع الفلسطينيّ بطبيعته مجتمع عشائريّ مغلق، وتحكمه مجموعة متناقضة من العادات، والتقاليد، والموروث الثقافيّ والدينيّ، وفيه الكثير من الحلال، والحرام، والعيب، ونعتبر هذه النقاط نقاط ضعف بالنسبة لنا». وفي موضع آخر: «الأسلحة التي يمكن أنْ تستخدمها للوصول إلى مآربك تتمثّل بالمال، والمرأة، والمخدّرات، والحبّ، والانتقام».

مُتبعاً هذا التوجيه، تقرّب مازن من شابين في بداية عمله، سمير ونادر، مستغلاً معاناتهما بسبب التهميش، والعنف، والحرمان الماديّ، فمع القليل من الاهتمام بمشاكلهما، ودعوتهما لتناول الأطعمة على حسابه، بدأ الشابان بالتحدّث عن حارتهما والمظاهرات فيها، فطلب منهما مازن تزويده بمعلومات عن المظاهرات؛ بحجة أنّ انشغاله يمنعه من متابعة مستجدّاتها والمشاركة فيها.

حصل الشابان على المال باستمرار مقابل المعلومات التي قدّماها، فشكّتْ سميرة، أخت سمير، بمصدر ماله، وهدّدته بإخبار والدهما في حال لم يعترف لها بسرّ نفقاته المتزايدة، كان والد سمير يضربه على أقلّ هفواته، ويحرمه من أدنى احتياجاته، وبدت تهديدات سميرة أكثر جدّيّةً مع مرور الوقت، فلجأ سمير إلى مازن ليساعده على حلّ هذه الأزمة، وما كان من مازن إلّا أن طلب من سمير تصوير أخته بوضعيّة معينة، ويُسلّمه الصور. ما أن تمّ ذلك، حتّى سلّم مازن الصور للكابتن مودي الذي دبلجها ليخلق «فضيحة»، وبهذه الفضيحة تمّ تهديد سميرة، إما الصمت أو الفضيحة.

أقنع مازن سميراً بهذه الخطة باعتبارها – ظاهريّاً – «إجراءً احترازياً» لحمايته، إلّا أنّ الصور في الواقع كانت وسيلة لإحكام قبضة مازن على سمير وتجنيده رسمياً وتجنيد أخته في ما بعد. أما الإيقاع بنادر فكان مشابهاً، استغلالاً للنزوات والحرمان الماديّ، وكاميرا توثّق مادةً للتهديد.

تتابعَ التجنيد بذات الطريقة؛ منوِّم وكاميرا، أو مجرد كاميرا ودبجلة الصور والفيديو، أصبح كلّ من واجه خطر الفضيحة عميلاً، باستثناء امرأة واحدة، حيث أصرّت على إخبار زوجها بحقيقة ما تعرضَتْ له من استغلال للعمل لصالح المخابرات، إلّا أنّها قتلت نفسها من دون أنْ تفشي بقصّتها، حيث أخبرها زوجها: «الاغتصاب كالماء، لا يناسب إلّا إذا هيّأت له الأرضُ مجراه، ولطخة العار لا يغسلها إلّا الدم، فالمرأة الأصيلة لا تدخل المكان الذي يعتريه الشبهات».

قال الكابتن مودي: «المرأةُ سلاحٌ إذا أجدتَ فنَّ استخدامه، فلن تُغلبَ في تجاوز الكثير من العقبات التي من الممكن أنْ تعترض طريقك، الشرف يقابله الموت في ثقافتكم، فهذا يُسهّل علينا المهمة ولا يُعقّدها؛ لأنَّ كلّ غشاء بكارة نفضّه، يهرب إلينا خوفاً من الموت، حتى وإنْ لم تكن تمثّل الأمان بالنسبة إليهم، فالخطر المؤلم خير من الخطر القاتل، وأين المفاجأة في ذلك؟ فهذه هي طبيعة المجتمع عندكم؛ لأنَّ نشأة الفرد لا تقوم على مواجهة الأخطاء وتصحيحها، لا أحد يمكنه تحمّل قسوة المجتمع».

**مادة مُستهلَكة**

أصبح العملاء الذين جنّدهم مازن أكثر نشاطاً وفائدة منه في تقديم المعلومات للمخابرات؛ حماية لأنفسهم من الفضيحة التي هدّدهم بها. ومع مرور الوقت، قلّت أهمية مازن للكابتن مودي، وأدرك أنّه مجرّد مادة مُستهلَكة، وقطعة صغيرة في الشبكة التي ساهم في إيجادها.

تيقّظ مازن وبدأ العودة تدريجيّاً إلى وعيه الأخلاقيّ وضميره، عندما اقترب خطر الفضيحة والتجنيد من زوجته وبناته على يد العميلات اللاتي جنّدهن بنفسه، علاوة على ذلك، أدرك مازن أنَّ صديقه عمر سيُغتال عندما طلب الكابتن مودي جمع المعلومات عنه، وهنا نمَتْ بوادرُ التغيير، واعترف مازن لعمر بعمله مع المخابرات؛ ليكون ذلك بداية تخطيطهما لاغتيال ضابط المخابرات الكابتن مودي.

لوحة الفنانة روان غانم/ فلسطين

لوحة الفنان محمد الصعيدان/ السعودية

## إشراق ونهضة:

# الأدب الجزائريّ في التسعينيّات وما بعدها

فضيلة الفاروق

## إشراق ونهضة:

# الأدب الجزائريّ في التسعينيّات وما بعدها

**فضيلة الفاروق** [1]

إن كان هنـاك جيـل أدبـيّ ظُلِـم في الجزائـر المسـتقلّة، فهـو جيـل التسـعينيّات، الـذي اصطـدم بأسـوار جيـل السـبعينيّات، وقلـق جيـل الثمانينيّـات الـذي شـهد الهـزّات التـي سـبقت العشـريّة السـوداء، هـذا الجيـل تأثّـر بعمـق بالسـياق السياسـيّ والاجتماعـيّ المُضطـرب، فقـد ولـد بـين جيـل دعمتـه المؤسّسـات التابعـة للدّولـة، وجيـل آخـر دعمـه الحـظّ؛ لأنَّ التطـوّر التكنولوجـيّ أخرجـه مـن العتمـة التـي بالـكاد خرجـت منهـا البـلاد بعـد عشـريّة سـوداء لا قـدرة للغـة علـى اختصـار بشـاعتها، دفـع بعـض النـاس حياتهـم ثمنـاً بسـبب كلمتهـم، وواجـه بعضهـم الآخـر أهـوال التهديـد والتخويـن، وعقبـات كبيـرة لجعـل أصواتهـم مسـموعة.

(1) كاتبة وإعلاميّة جزائريّة مقيمة في بيروت.

كان صمود الكُتّاب الجزائريين في مواجهة الشدائد مشابهاً لما واجهه كتّاب الفترة الاستعماريّة، الذين كتبوا باللغة الفرنسيّة لمجابهة فرنسا، وتقريباً لاقى الجيلان نفس المصير، بعد تشتّتهم في المنافي، أو تهميشهم في الدّاخل لأسباب سياسيّة محضة.

وإن كان بعض الأشخاص يعتبر ما حدث في الجزائر خلال العشريّة السوداء صراعاً إسلامويّاً ضد النظام آنذاك، أو حرباً أهليّة خفيّة، فهذا راجع إلى التعتيم على الأسباب الحقيقيّة التي أدّت إلى ما حدث، والذي يمكن اعتباره «عمليّة منظّمة مقصودة من عدة جهات لتصفية مئات الآلاف من الجزائريين»، خاصّة النخبة، وإفراغ الجزائر من أدمغتها وطاقاتها الشبابيّة الصاعدة، من مبدعين وكوادر متخصّصة في كلّ القطاعات، ولعلّ أصدق وصف لتلك المرحلة، هو أنّها كانت «مرحلة إبادة فكريّة» مات خلالها من مات، ونجا من نجا، لكن بأعطاب متفاوِتة.

«البلدُ القارّة» كما يُطلق على الجزائر، كانت بمثابة «مغارة علي بابا الأسطوريّة المليئة بالكنوز»، وهذا سببٌ كافٍ ليسيل لُعاب الطامعين في ثرواتها مرة أخرى، بطرق مختلفة. وتقريبا لمن تابع الشأن الجزائري منذ مطلع الاستقلال، سيدرك أنَّ التحضيرات للتسعينيّات بدأت باكراً، ولهذا فإنَّ ما سُمّي «بالحرب الأهليّة الخفيّة»، فيه جانب من الحقيقة، ذلك أنَّ الخفيّ فيها كان مُموّلي تلك الحرب وغاياتهم، أمّا ما تبقّى، فلم يكن أكثر من «لعبة شطرنج» خطيرة شارك فيها أبناء البلد الواحد فقط من أجل البقاء، كانت حرباً انهزم فيها المنتصرون بعد كلّ تلك الخسارات الفادحة التي لحقت بالجزائريين.

سعى كتّاب تلك الفترة القاسية إلى عكس حقائق زمانهم، وتدوين شهادة على معاناة وآمال الشعب، مستكشفين عواقب العنف وصدماته، والانقسامات الاجتماعيّة والسياسيّة، والبحث عن الهُويّة في سياق مضطرب. لكن بسبب ذلك المناخ الدّمويّ الملوّث والمتوتّر، واجه الكُتّاب في كثير من الأحيان الرّقابة والرّقابة الذاتية، كما واجه بعضهم قيوداً على نشر أعمالهم، وتهديدات، وتصفيات غير مسبوقة عالميّاً؛ انتقاماً بسبب أفكارهم.

انعكس التنديد بالظلم والعنف في أدب التسعينيّات، لكن المؤسف أن الكُتّاب باللغة الفرنسيّة وجدوا في الضفة الأخرى من المتوسط من يحضن أدبهم، في ما الكتّاب باللغة العربيّة تشرّدوا بين المنافي دون أدنى اهتمام بمصيبتهم، رغم أنّهم واجهوا نفس المصير مع زملائهم الفرنكفونيّين.

تغيّر المشهد الأدبيّ في الجزائر تماماً، فقد كانت الكتابةُ ملاذاً لمواهب كثيرة عبّرت عن مخاوفها، وتناولت موضوعات كانت محظورة في السابق، انتعشت القصّة القصيرة، والقصيدة بأنواعها، وشكّلت الجامعات والجرائد الكثيرة التي ملأت الأسواق منابر مواجهة بين المبدعين المختلفين في الرأي والمتخاصمين، بين أنصار الأدب وأعدائه، وبين أصحاب الأقلام وأصحاب السيف.

كانت ظاهرة غريبة تلك التي شهدتها الجزائر في تصفية الكتّاب، لخّصها الكاتب الفرنكفونيّ الطاهر جعوط – (أو طاهر جاووت كما يُلفظ اسمه باللغة الفرنسية) – بجملة مقتضبة: «إن تكلّمتَ تمُتْ، وإن لم تتكلّم تمُتْ، لذلك تكلّم ومُتْ». والذي كان من بين القتلى الأوائل.

كانت التُّهمُ جاهزةً لجعل المجتمع يتقبّل موت كلّ مثقّف، فقد كانت تهمة «اليساري الكافر» كافية لتقبّل عملية اغتيال جعوط، وكانت تهمة «صحفي من صحيفة حكوميّة»، ستكفي وسائل الإعلام العالميّة لنقل خبر اغتيال الصحفي بختي بن عودة المعرّب، ولسوف ينسى الجميع أنَّ الشّعر هو الذي خسر شاعرينِ بالأهميّة نفسها، برصاصٍ من مسدّسي عاطلينِ عن العمل، تمكّنت الجماعات المسلّحة من تجنيدهما.

كنتُ طالبةً جامعيّةً آنذاك، وكانت غريزتنا للبقاء تُدفعنا للكتابة، وفي ما غادر أغلب الكتّاب «الكبار» الجزائر لإنقاذ

أنفسهم، ولدنا نحن في ساحة حرب فُرِضت علينا فرضاً. في تلك السنوات ستبرز أسماء جديدة في الشعر: عاشور فني، محمد فاضلي، سعيد هادف، لخضر فلوس، عمار مرياش، عادل صياد، نجيب أنزار، عمر أزراج، فاروق اسميرة، بوزيد حرز الله، يوسف وغليسي، محمد الأمين سعيدي، عبد الحميد عمران، نوارة لحرش، نصيرة محمدي، خالدية جاب الله... وفي القصة برزت أسماء مثل مراد بوكرزازة، مفتي بشير، جمال الدين طالب، فايزة مصطفى، عبد الرزّاق بوكبة، إسماعيل يبرير، وأسماء كثيرة يصعب اختصارها؛ لأنّها أصبحت تتوالد دون توقّف، كانت حركة أشبه بالانفجار الكبير، وبداية حياة أدبيّة جديدة.

قلّل أدباء السبعينيّات من شأن أدب الموجة الجديدة، فأُطلق عليه اسم الأدب الاستعجاليّ، أو أدب الشهادات، أو الأدب الريبورتاج، بالغ أحدهم بتسميته «أدب الحواجز المزيّفة»، وهذا تشبيه خطير لأدب ولد من رحم المعاناة لإنقاذ الكلمة من الموت.

لقد كان أدباء «بحبوحة» السبعينيّات إلى منتصف الثمانينيّات يتربّعون على عروش أرادوها أبديّة، ولعلّهم مستمرّون في الهيمنة على المشهد الأدبيّ الجزائري، لكن الذي حدث أنَّ العولمة جعلت الأسوار تتهاوى بين البلدان، المغلقة منها والمنفتحة، المحافظة والمتحرّرة، وأصبح النصّ الجزائريّ يسافر عبر قوارب سحريّة غير متوقّعة إلى فضاءات أخرى.

ستبرز أسماء لم تعرف «التابوت» الذي دُفِن فيه شعراء وقصّاصون وروائيّون أحياء يرزقون في جزائر التسعينيّات، هم كوكبة كبيرة وهبت الحياة للأدب في أحلك ظروفه، حتى إنَّ بعض الكبار بعد أن أنهكته حرب محاربتهم، سارع لتغيير ثوبه لمجاراة هذا العصر المخيف.

دون شك اليوم حين نقرأ لكاتب مثل عبد الوهاب عيساوي، أو محمد الأمين بن الربيع، أو الصديق حاج أحمد، أو محمد جعفر، أو حميد عبد القادر، أو رشدي رضوان، أو هاجر قويدري، أو عبد اللطيف ولد عبد الله، أو عبد الله كروم، محمد فتيلينة، زهرة كشاوي، ومايسا غاوي، ولشعراء مثل لميس سعيدي، وخالد بن صالح، وعادل بلغيث، وصلاح باديس، سنكتشف أساليب شعريّة وسرديّة مختلفة، هي نتاج تلاقح ثقافات أنجبتها العولمة، وتقارب العالَم عبر فضاءات افتراضيّة، وغير ذلك، لنقل إنّه جيل اجتهد لرعاية المولود الذي ولد قسراً في العشريّة السوداء.

القائمة تطول، ولا يمكن اختصارها؛ لكون الأقلام الجديدة التي أصبحت تظهر باستمرار، دون أيّ فاصل بينها وبين جيل التسعينيّات كثيرة، لكن الملاحظة المهمة التي يجب تسجيلها هنا، هي أنّ النصّ الذي أنجبته فترة ما بعد التسعينيّات نصّ لم يعد فجّاً، لقد اكتسب نضجاً ونضارةً، وأصبح يمثّل الجزائر في محافل دوليّة، وينال جوائز، ويُترجم للغات أخرى، ويكتسب قرّاءً، بعيداً عن توصيات مؤسّسات الدولة.

أدب هذه الفئات الجديدة، أدب عرف كتّابه معاناة أقلّ لإثبات الذات، وعقبات أقلّ للنشر، بعد ظهور دور نشر خاصة كثيرة، بعضها نال دعماً من الدولة. يجب الاعتراف أيضاً بأنَّ هؤلاء الكُتّاب سواء كانوا جيّدين أو سيئين، فقد صنعوا مشهداً ثقافيّاً متعدّد الأقطاب، والتوجّهات، والمستويات، ويعبّرون بكلّ أريحيّة عن وجهات نظرهم، فقد عبر بهم قارب أدباء التسعينيّات بحيرات الدم، وضفاف العنف المميت.

من هذا المنظور، فإنَّ تحليل حدث الموت والخطابات التي ينطوي عليها، ساهم بشكل أو بآخر في فهم أفضلَ لنظام المعنى، المدعوم بقيم أخلاقيّة معياريّة، مثل الشرف والتضحية والوطنيّة، في الأدب الشبابيّ الجديد، هناك منحى إنسانيّ، وأسئلة وجوديّة، وبحث في أعماق الذات، وإيمان بفلسفة خاصة غير نابعة من تيار إيديولوجيّ معيّن.

هـذا الجيـل ليـس مواليـاً ولا معارضـاً، ينشـط مسـتقلّاً غيـر مبـالٍ بالمؤسسـات التـي جمّدهـا موظّفون لا علاقـة لهـم بالثقافـة والشـأن الأدبـيّ والفنّـيّ، بـل إنّ خبـراً مثـل نيـل آنـي إيرنـو لجائـزة نوبـل، أكثـر أهميّـة بالنسـبة لـه لمناقشـته، مـن متابعـة نشـاطات أكثرهـا فقيـر المحتـوى في مؤسّسـات الدولـة.

حتـى الجوائـز التـي أُطلقـت هنـا وهنـاك، تميّـزت بينهـا جائـزة آسـيا جبّـار، ثـم بعدهـا جائـزة محمـد ديـب، لكنّهـا أقلُّ وهجـاً مـن جوائـز الخليـج التـي تُكافـئ الكاتـب بشـكل بـاذخ، وتسـتقطب أغلـب الأقـلام التـي تبحـث عـن المكافـأة والانتشـار عربيّـاً؛ لكـون الفضـاء الجزائـريّ بكلّ معطياتـه أصبـح ضيّقـاً أمـام طموحـات هـؤلاء.

هكـذا أصبـح لهـذا الجيـل الشـابّ بوصلـة أخـرى جعلتـه يشـقُّ طريقـاً مختلفـاً، وبالتأكيـد لـه أهدافـه التـي تجعلـه يكتـب بغـزارة، باحثـاً عـن موضوعـات غيـر مطروقـة، مثـل إعـادة قـراءة التاريـخ بمنظـور جديـد، وإبـراز شـخصيات مفكّـرة وأدبيّـة عاشـت وماتـت في الظـلّ في حقـب سـابقة، واتبـاع تقنيّـات كتابـة كسـرت القوالـب الأدبيّـة الكلاسـيكيّة، وإبـراز الجزائـر كفضـاء مكانـيّ لـه جمالياتـه العاليـة، وتقديـم الواقـع اليومـيّ الجزائـريّ بتفصيلاتـه ومتغيّراتـه التـي غابـت في أعمـال كثيـرة، سـيطرت علـى مـدى عقـود علـى المشـهد الأدبـيّ.

إنَّ العامـل الباعـث للأمـل بعـد هـذا المختصـر، هـو الكـمُّ الهائـل للطاقـات الإبداعيّـة التـي تزخـر بهـا الجزائـر، والتـي – دون مبالغـة – مـا نـراه منهـا اليـوم أقـلّ بكثيـر ممّـا لا نـراه، هـي بالضبـط كمـا يصفهـا الأوروبيـون: «عمـلاق النفـط والغـاز، وثـروة الأدمغـة الشـبابيّة».

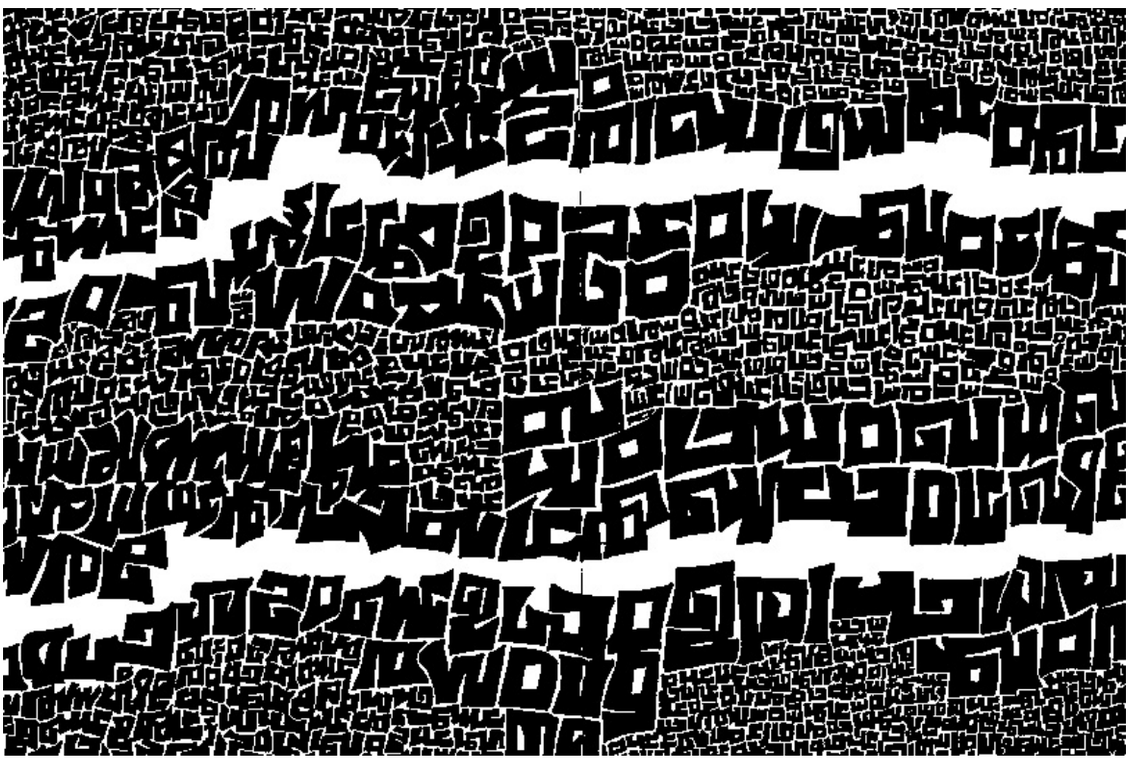

حروفية الفنانة مريم أبو طالب/ مصر

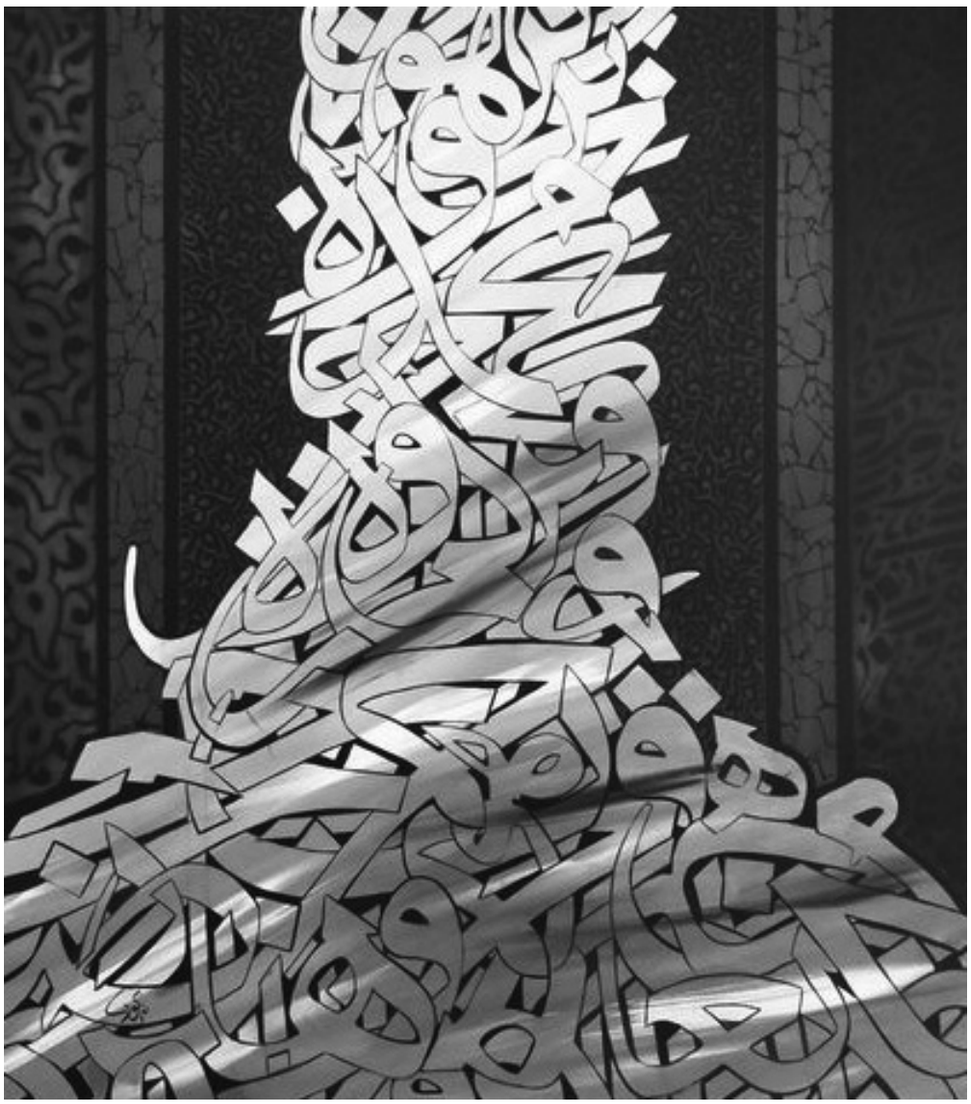

حروفية الفنان كور نور الدين/ الجزائر

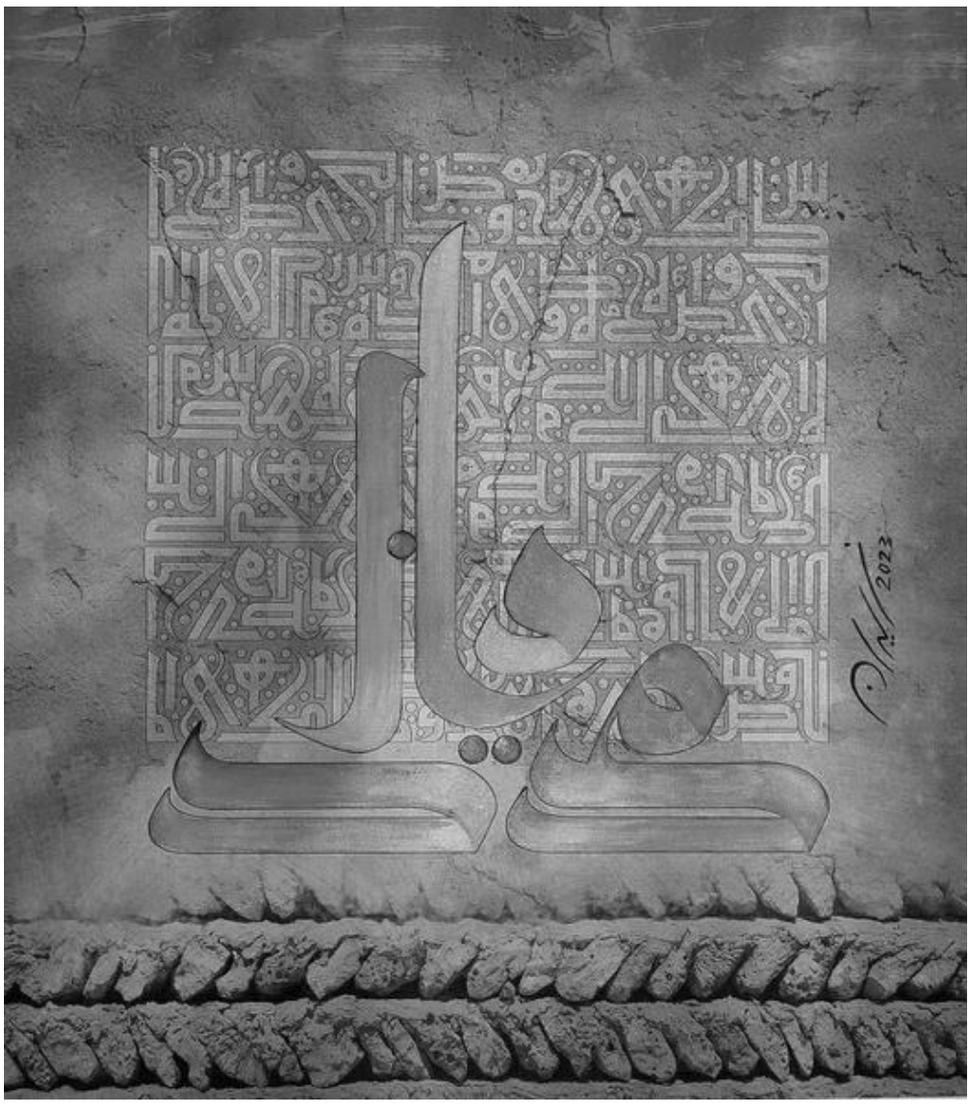


حروفية الفنان زيدان عزام/ الأردن

82

نقوش

# الزرقاء: وجهٌ آخر ووحيد

حلا السويدات

مدينة الزرقاء

الحاووز/ الزرقاء

# الزرقاء: وجهٌ آخر ووحيد

**حلا السويدات**

«لكلِّ شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ». أبو البقاء الرّندي.

تبدو الزرقاء تامّة! فعن أيّ نقصانٍ يُمكن أن نبحث فيها؟

يُمكن بسهولة الوقوف بحزم للحديث عن النقصان، في مدينة أهلها كادحون مثل الزرقاء، لن يطولَ الأمرُ حتى يصوّت زائروها على الشوارع غير النظيفة، والثقيلة، والمليئة بالوجوه المُتعبة والمليئة بالأسئلة عن كدر العيش أيّانَ يزول.. أيّانَ يزول؟!

لن يزول، سيقول الحكيم الجالس على باب محلّ العصير على كوربة (مُنعطَف) في شارع السعادة، الذي كان سابقًا يُسمّى حارة السعادة، وسيعتمل في قلبه الأنين الضروريّ والكافي لخروج مثل هذه الإجابة الحتميّة التي تنمّ عن أنَّ أسىً أصاب هذه المدينة لن يزولَ أبدًا، وأنّ العيشَ صارَ لازمًا لكلّ محاولة للتذكّر، أو التذمّر، أو الاستدعاء السريع للحظة خاطفة، مِنجلها من فم الحياة.

محطة سكة الحديد/الزرقاء

للزرقاء عيونٌ كثيرة، منها ما تنظر إلى حقبة زمنيّة، وتنسج فوق جيدها الثياب الجميلة والآمال، والسير والطموحات، ومنها ما ينكث النسيج كبينلوبي تنتظر أوديسيوس يسقط من غيمة تأتي متأخرة عن موسم الغيث، هناك الكثير يا أوديسيوس، لا تعرّج على أقوال الشعراء والمثقّفين، بل انزلْ عن حكمتك، واعترك السيرَ بَدْءًا من شارع الجيش إلى قصر الحلّابات، طِرْ مبتكرًا وجهًا آخرَ للحقّ والحياة والبطولة، لا يجهله ولا يهزأ به البسطاء، بل ينامون في كنفه ويرتاحون!

هل يعرف المرءُ كيف للزرقاوي الأصيل أن يرتاح؟

ليس هذا سؤالًا يُمكن الإجابة عليه بسهولة، ولو كان، لما خرج أمجد الناصر حاملًا أسئلته وقلقه إلى القصيدة، ثمّ إلى عمّان كغيره، قلقين مستحيلي الإجابة واليقين، لا يُمكن لهذه المدينة أن تورث الشعراء الطُّمأنينة، ولا يُمكن لها أن تُحمل مع النازحين عنها إلى وجهٍ لطيف ونظيف من مدينة أخرى، مشهورة الاسم والطريق، إلّا سَمتًا خاصًّا من الطّحن.

ليست الزرقاء مدينة يستذكرها الكُتّاب؛ لأنّها مهدُ ألمٍ ووجعٍ، أو لأنّها مهاد الأسى وأول العبور في التجربة، ليست مدينةً كهذه – وإن كانت المدن لا تنبني على ذكريات عابريها – إلّا أن تأخذ من المكان وقوفه وثباته، وأن تتعاجز عن نفض الحفر عن وجهها؛ فَهْمًا لعمق الحياة، ولتلائم قلبَ العجوز فيها، تلك التي تقتاتُ على قليلٍ من الصبر، فتخلُقُ من أديمها صبرًا آخر، أكثر مرارةً وأقوى!

الزرقاء مدينة تنعجن في قصورها وتاريخها، وسيولها، وتعرف من الزمنِ وجهيه، تعني في حديثها عن أُحجيات البداوة كلّ العابرين في سبيل المعجزة والحقيقة، لا تنثني عن أبنائها، وإنْ قلّمت أظفارَهم القساوةُ، الزرقاء مدينة يتوخّى

الشعراء ذكرها إلّا بالاستعارة، وكأنّها ثوب مستعار من الجمال المرغوب فيه، ويتردّدون بخطواتهم كثيرًا على شارع السعادة، وهم يغضّون الطرف عن طموحات قديمة بأنْ يكون شارعًا سعيدًا، الزرقاء مدينة تملؤها الخيبة، وتفيض بالكرامة.

لكلّ الشعراء قصّتهم الخاصّة، مفردتهم الخاصّة، قصّة شعرهم التي يجهّزونها كما الحكاية، تبدأ وتتأزم وتنتهي، هكذا دون أن يتركوا علبة تبغ احتياطًا في رفّ ذاكرتها، أملًا بالعودة، الشعراء ذاكرتهم ناقصة، لا تتسع لكلّ هذا الكمّ الكبير الذي يُسمّى الزرقاء!

لكن.. وحدَه الشّعرُ يُمكن أن يصنع من كلّ هذا الترهّل طَلَلًا عظيمًا، تتمترسُ خلفه المعاني، فهو اللغة التي يُمكن أن يخلّد فيها وقعُ الحنين خلودًا ليس بعده خلود، مرّ أحمد القزلي مرةً في شارع السعادة، على مهلٍ يمشي مُثقلًا، وهو يحمل لوحاته وقصصه الساخرة عن الحكمة الناقصة، وعن التكرار النشاز لمقولات مشوّهة تفرضها الكليشيهات، أذكر أنّي مشيت خلفه أعدّ الخطوات، وأنا أقيس مفارقة السعادة في شارع لم يعرف السعادة إلّا قليلًا، لم تَطُلِ المشيةُ حتى مات بعد أن مدّ حبيب الزيودي دالية العنب خفقة المجاز السريعة.

كثيرًا ما يُقال أبناء الرّصيفة معجونون بالأسى والتاريخ، وأنَّهم أكثر من أجاد الفقر تعليمهم ما خفي من سرّ الوجع، دَرَجٌ متعرّج يفصل بين الشارع الرئيس والسكّة الحديدية التي ألفها الطموحون، حتى صارت حُلمًا مؤجّلًا بالمفارقة، أكثر البيوت بؤسًا تلك التي تقترب من هذا الخطّ المليء بالرموز، تفيض الرموز، إلى حدّ أنَّ الأطفال يلهون بها وقت الضّحى في العطلة الصيفيّة، بعد أن نسُوا ساعات العمل المبكّرة في أوقات العطل.

الزرقاء كبيرة، من كان يصدّق أن فردًا ألفها وعرفها كلّها هكذا دفعةً واحدة؟! أهلها كثيرون، لكنّها عرفتهم واحدًا

الحاووز/ الزرقاء

واحدًا، وأعطتهم جزءًا منها لا يفتأ إلّا أن يكون: «تتذكّر أيام كنت عايش بالزرقا؟».

الزرقاء هروب مؤجّل، وطموح بالمغادرة، والحقيبة لا تتّسع للحقب والأزمان المتعاقبة، الحكاية وحدها من تتّسع لكلّ هذا، والزمن خيط رفيع لكنّه ممتدّ، والأفواه كثيرة يملؤها الكلام والذكريات، الكلّ يحبّها وينتظر لو يغادر ليحكيَ كيف كان يحبّها!

الزرقاء لها حظٌّ من كلّ شيء، وحظّها الأكبر يبرز في تجاعيد وجهها، وتفاصيل يومها، وحكاياتها اليوميّة، لها من يعرف كيف يمشي في شوارعها، ويدرّب نفسه أن يرى فيها مسحة الجمال الملعون، ثمّ يقول: فيها قصر، وتاريخ، وسكّة حديد، وأسرار كثيرة، وأبناؤها من كلّ جلدة البشر، كثيرون ويحبّونها!

يحبّونها على خبب، قبل أن تكتمل سيرة الحبّ.

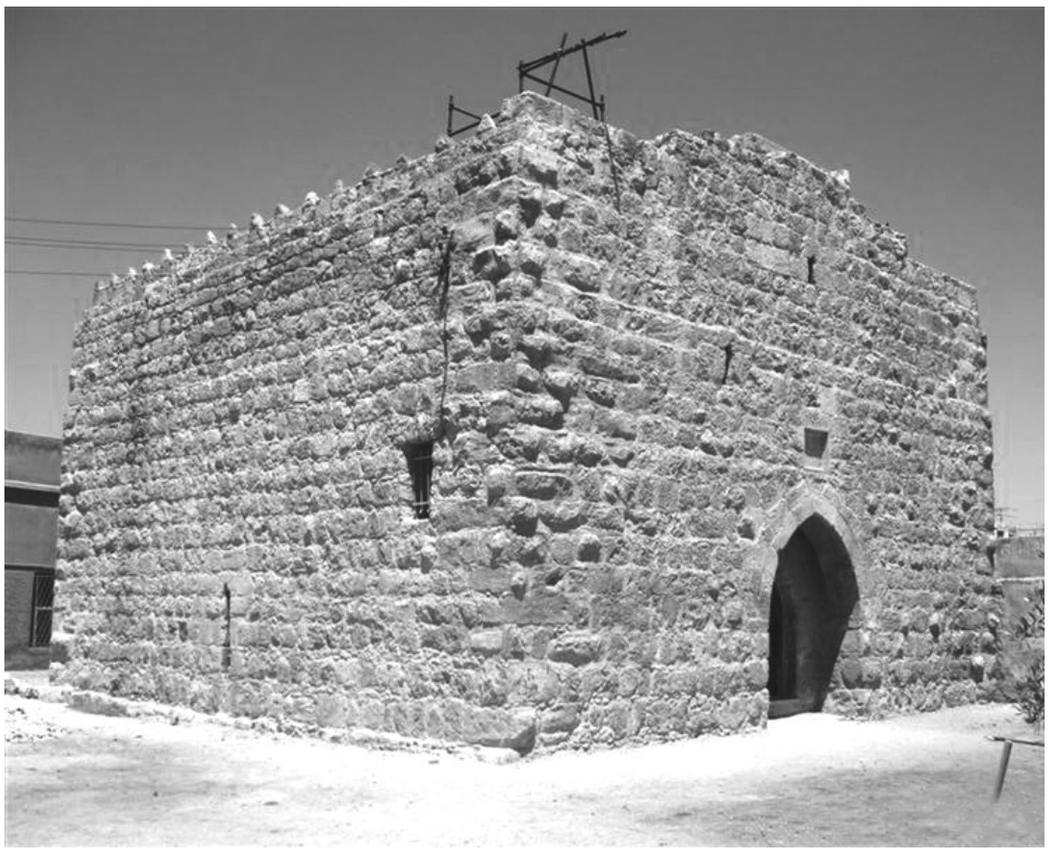

قصر شبيب/الزرقاء

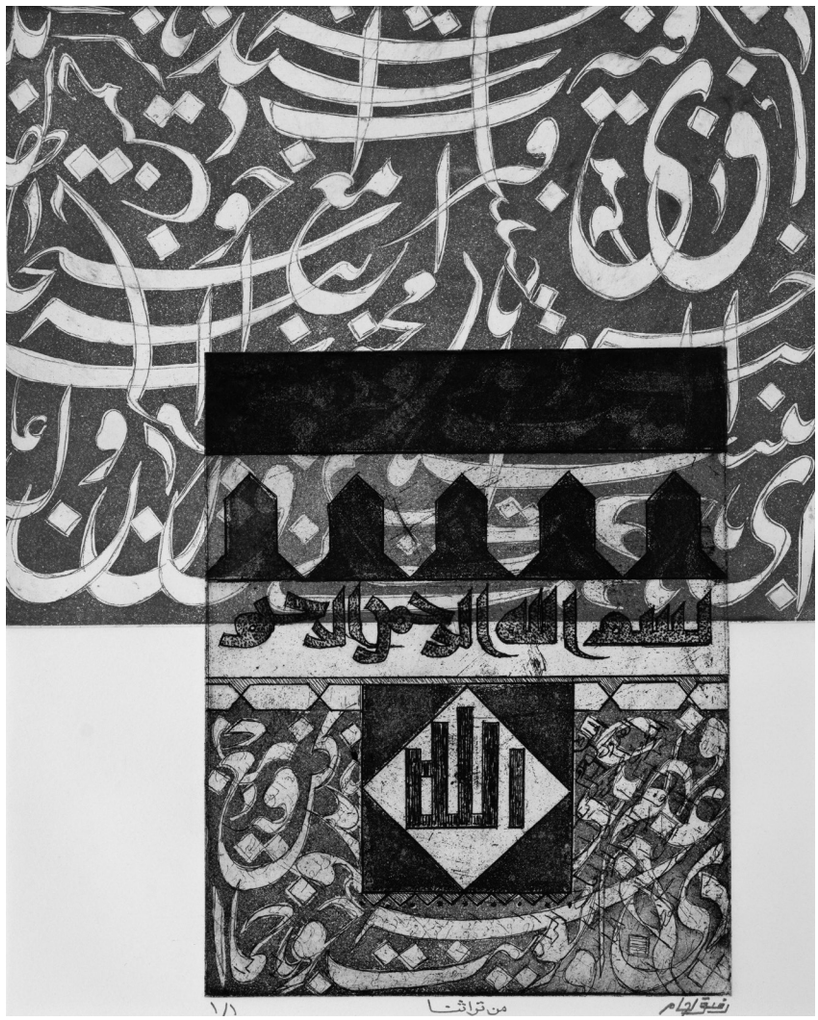


حروفية الفنان رفيق اللحام/ الأردن